



القدس عريية اسلا



معة النجاح الوطنية
كلية الآداب

يوم القدس

ملخصات بحوث الندوة الثالثة

٢١ أيار ١٩٩٧م



تحرير:

د. خليل عوده

د. محمود عطا الله

٩٥٦,

٤٢

ندو

١٦٤ ١٩٨٥٧٩
٧١٠٠٠

المحتويات

الصفحة

العنوان

٥	مقدمة
٧	وقائع أعمال الندوة
١١	كلمات الافتتاح
١٣	كلمة عريف الحفل
١٥	كلمة رئيس مجلس أمناء جامعة النجاح الوطنية
١٧	كلمة الأمين العام المساعد لاتحاد الجامعات العربية
٢١	ملخصات البحوث
٢٣	* القدس عربية الجذور، إسلامية التاريخ والحضارة " محمد ذياب أحمد أبو صالح "
٣١	* المسجد الأقصى المبارك " محمد حافظ الشريده "
٣٧	* الاستقرار العربي الإسلامي في بيت المقدس حتى نهاية العصر العباسي الأول " محمود سعيد إبراهيم موسى "
٤٣	* من نماذج التربية السياسية الدعوة إلى الوحدة بين الإمارات الإسلامية في عهد الأيوبيين لإنقاذ القدس " محمود تيسير الشخشير "

مكتبة جامعة النجاح الوطنية



NL237406

- ٤٩ * الزوايا في القدس
- ٥٩ " غسان محيش "
- * الطريقة النقشبندية
- " حسين أحمد الدراويش "
- ٦١ * خصائص المدينة الإسلامية في القدس
- " جهاد عوض "
- ٧٧ * واقع الحركة السياحية في مدينة القدس
- " عائد أحمد صلاح الدين "
- ٨٣ * كي لا ننسى ... إعرف وطنك - من القرى المدمرة
- " عباس نمر "
- ٩٣ * خاصكي سلطان
- " أحمد العلمي "
- ١٠١ * نحن والقدس ... والآخرين
- " لطفي زغلول "

مكرر

٩٥٦,٤٤٢
نذ

مُقَدِّمَةٌ

الندوة الثالثة ليوم القدس في كلية الآداب - جامعة النجاح الوطنية

استمراراً للتواصل الفكري والحضاري والإنساني مع مدينة القدس، مدينة السلام والمحبة، عاصمة دولة فلسطين، فقد دأبت كلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية على عقد ندوات متواصلة حول مدينة القدس، وفق محاور دراسية عدة، تتناول تاريخ المدينة المقدسة، والجوانب الدينية والأثرية والجغرافية والأدبية المتعلقة بها .

وتوفر هذه الندوات للباحثين والأكاديميين الفلسطينيين العرب، فرصة للحديث عن مدينة القدس من منظور علمي، يعمق الوعي بالأصول العربية الراسخة في هذه المدينة، ويقيم التواصل الفكري معها، من خلال التظاهرة العلمية التي تقام في كل عام على أرض جامعة النجاح الوطنية، في يوم القدس الذي يجمع نخبة من أصحاب الفكر وذوي الرأي الذين يلتقون في بحث موصول، وجهد دؤوب، وعمل مشترك، من أجل وضع زبدة نتاجهم في كفة ميزان، تقابلها أثقال من الظلم والخطيئة والتزيف، وقوى الشر والاستبداد في العالم كله .

ولا نبتغي من عقد هذه الندوات تحويل الصراع من أجل القدس إلى مهرجانات خطب وخطاب، فالقدس أكبر من أن ننشد بلاغة القول فيها، أو أن نصفق طرباً لشعارات عفا عليها الزمن، ولأننا لانملك إلا الكلمة النابعة من عمق الوعي، وصدق الإحساس، فإننا نستطيع أن نفجر بالكلمات مواطن الشعور عند الآخرين، ونجعل القدس واقعاً في إحساس عربي أصيل لا يمكن له أن يموت، وسيظل مع القدس، وفي سبيل القدس، إلى أن تكبر الكلمة، وتنضج الفكرة، وتلتقي الآمال مع الواقع، على بوابات القدس، وفي حنايا المسجد الأقصى، وفضاءات قبة الصخرة .

وفائز أعمال الندوة

ولا يسعني في الختام إلا أن أوجه الشكر إلى كلية الآداب التي تحرص في كل عام على عقد هذه الندوة، وعلى الجهد التي تبذله عمادة الكلية من أجل استمرارية النشاطات اللامنهجية المتميزة، في موضوعات تستحق البحث والدراسة .

د. رامي حمد الله

نائب رئيس الجامعة للكليات الإنسانية

عقدت الندوة الثالثة ليوم القدس يوم الأربعاء الحادي والعشرين من أيار عام سبع وتسعين وتسعمائة وألف، وبدأت الندوة بجلسة افتتاحية، ترأسها الدكتور خليل عوده عميد كلية الآداب، وبعد قراءة آيات من القرآن الكريم، ألقى سعادة الأستاذ عبد الغني عنبتاوي رئيس مجلس أمناء جامعة النجاح الوطنية، كلمة الافتتاح فأكد فيها على أهمية عقد هذه الندوات، من أجل تدارس واقع المدينة المقدسة، وما تواجهه من محاولات طمس هويتها العربية والإسلامية .

وتحدث بعد ذلك الأستاذ الدكتور إبراهيم الخواجا، الأمين العام المساعد لاتحاد الجامعات العربية، فقدم شكر اتحاد الجامعات العربية على الجهود الموصولة في جامعة النجاح من أجل القدس، ومن أجل مزيد من البحث العلمي الموسع والمعمق حول جوانب مختلفة من حياة المدينة وواقعها السياسي والجغرافي والديني . وبعد كلمات الافتتاح، واستراحة قصيرة بدأت جلسات العمل الثلاث . وكانت جلسة العمل الأولى بعنوان : الماضي والحاضر، وأدار الجلسة الدكتور محمود عطا الله . وشارك في هذه الجلسة :

١. د. نظام عباسي، وقدم ورقة عمل بعنوان :

عروبة القدس عبر التاريخ .

٢. أ. محمد أبو صالح، وقدم ورقة عمل بعنوان :

القدس قبل الفتوحات الإسلامية .

٣. أ. محمود سعيد موسى، وقدم ورقة عمل بعنوان :

الاستقرار العربي في بيت المقدس حتى نهاية العصر العباسي الأول .

٤. د. سعيد البيشاوي، وقدم ورقة عمل بعنوان :

الحياة الاقتصادية في القدس زمن الفرنجة .

٥. د. محمد علي الصليبي، وقدم ورقة عمل بعنوان :

عبد الحميد الثاني والقدس .

٦. أ. لطفي زغلول، وقدم ورقة عمل بعنوان :

نحن والقدس والآخرين .

ثم عقدت الجلسة الثانية بعد استراحة الغذاء والصلاة، وعنوانها : الحضارة والفكر

وترأسها الدكتور ماهر أبو زنط، وشارك فيها كل من :

١. د. محمود الشخشير، وقدم ورقة عمل بعنوان :

١. الاستمرار في عقد هذه الندوة، والتفكير في أن يتم ذلك كل ثلاثة أشهر لما لهذه الندوة من أهمية في ترسيخ الوعي حول مدينة القدس، وجعلها حاضرة في أذهان الناس من خلال إقامة هذه الفعاليات والنشاطات .

٢. د. حسين الدراويش، وقدم ورقة عمل بعنوان :
الطريقة النقشبندية في القدس

٢. الاتصال بالمؤسسات العربية والدولية التي تهتم بمدينة القدس، وإطلاعها على نتائج هذا اليوم الدراسي وتوصياته، وأوراق العمل المقدمة فيه .

٣. أ. محمد غوشه، وقدم ورقة عمل بعنوان :

٣. اطلاع اتحاد الجامعات العربية على نشاطات الجامعة في ندوة يوم القدس الثالثة، والطلب من الاتحاد وضع ملف خاص لهذه الندوات والمؤتمرات التي تقام حول مدينة القدس.

مكتبات الأسر العربية في القدس العثمانية .

٤. د. أمين أبو بكر، وقدم ورقة عمل بعنوان :

٤. تكثيف الإعلان عن فعاليات يوم القدس من خلال مشاركة إعلامية واسعة، لتغطية هذا النشاط، ورصد الإمكانيات المتوفرة في وسائل الإعلام الفلسطينية لإبراز ما تقوم به جامعة النجاح الوطنية من جهد في وضع دراسات حول موضوع القدس .

النشاط العمراني في القدس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

٥. د. جلال قزوح، وقدم ورقة عمل بعنوان :

المقرنصات في الفن الإسلامي.

٦. أ. عباس نمر، وقدم ورقة عمل بعنوان :

قرية دير أيوب .

وبعد انتهاء المحاضرين من إلقاء محاضراتهم، عقدت جلسة العمل الثالثة والأخيرة، وعنوانها : العمارة، وترأسها الدكتور جلال قزوح، وشارك فيها كل من :

١. د. جهاد عوض، وقدم ورقة عمل بعنوان :

خصائص المدينة الإسلامية في القدس .

٢. د. محمد حافظ الشريدة، وقدم ورقة عمل بعنوان :

المسجد الأقصى المبارك .

٣. د. هوك، وقدم ورقة عمل بعنوان :

عمائر القدس في العصر البيزنطي .

٤. أ. غسان محبيش، وقدم ورقة عمل بعنوان :

الزوايا في القدس .

٥. د. أحمد العلمي، وقدم ورقة عمل بعنوان :

تكية خاصكي سلطان .

٦. أ. عايد صلاح الدين، وقدم ورقة عمل بعنوان :

الواقع السياحي في مدينة القدس .

وبعد انتهاء جلسات العمل، صدرت عن الندوة التوصيات الآتية :

١. الاستمرار في عقد هذه الندوة، والتفكير في أن يتم ذلك كل ثلاثة أشهر لما لهذه

الندوة من أهمية في ترسيخ الوعي حول مدينة القدس، وجعلها حاضرة في أذهان الناس من خلال إقامة هذه الفعاليات والنشاطات .

٢. الاتصال بالمؤسسات العربية والدولية التي تهتم بمدينة القدس، وإطلاعها على نتائج هذا اليوم الدراسي وتوصياته، وأوراق العمل المقدمة فيه .

٣. اطلاع اتحاد الجامعات العربية على نشاطات الجامعة في ندوة يوم القدس الثالثة، والطلب من الاتحاد وضع ملف خاص لهذه الندوات والمؤتمرات التي تقام حول مدينة القدس.

٤. تكثيف الإعلان عن فعاليات يوم القدس من خلال مشاركة إعلامية واسعة، لتغطية هذا النشاط، ورصد الإمكانيات المتوفرة في وسائل الإعلام الفلسطينية لإبراز ما تقوم به جامعة النجاح الوطنية من جهد في وضع دراسات حول موضوع القدس .

٥. الاتصال بمسؤول ملف القدس، السيد فيصل الحسيني، وإطلاعها على فعاليات هذا اليوم، والطلب منه توفير الدعم المالي والمعنوي من أجل أن تواصل هذا النشاط حول مدينة القدس، وزيادة فعاليتها لتأخذ بعدا أوسع وأشمل من خلال الدعم والتأييد .

٦. طباعة البحوث المقدمة في ندوة يوم القدس الثالثة، في كتاب خاص يحمل اسم الندوة .

٧. دعوة جميع المشاركين للإدلاء بآرائهم حول ما تم إنجازه في هذه الندوة والندوات السابقة ووضع الاقتراحات وتقديم الآراء، لما يمكن أن تكون عليه الندوة الرابعة ليوم القدس .

٨. تتقدم اللجنة التحضيرية لندوة يوم القدس الثالثة بالشكر والتقدير إلى إدارة الجامعة على جهودها في توفير ما يلزم، ودعمها المالي لتغطية نفقات هذا اليوم .

٩. تتقدم اللجنة التحضيرية لندوة يوم القدس بالشكر والتقدير إلى إدارة الجامعة على دعمها المالي لطباعة أوراق العمل المقدمة في ندوة يوم القدس الثانية وإصدارها في كتيب .

اللجنة التحضيرية ليوم القدس

كلمات الافتتاح

كلمة عريف الحفل الدكتور خليل عوده عميد كلية الآداب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- السيد الأستاذ عبد الغني عنبتاوي رئيس مجلس أمناء جامعة النجاح الوطنية المحترم .
- السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم الخواجا الأمين العام المساعد لاتحاد الجامعات العربية المحترم .
- السيد الدكتور رامي حمد الله نائب رئيس الجامعة المحترم .
- السادة عمداء الكليات وأعضاء هيئة التدريس المحترمين .
- الأخوة الحضور .

السيدات والسادة

بكل الحب والتقدير والاحترام نرحب بكم في جامعة النجاح الوطنية وقد تداعيتكم للمشاركة في فعاليات يوم القدس، في الندوة الثالثة التي اعتادت كلية الآداب على إقامتها في كل عام، إيماناً منها بأن القدس هي هم كل الفلسطينيين على اختلاف مشاربهم ومضاربهم .

ويوم للقدس يقام في جامعة النجاح، بمشاركة هذه الفعاليات، هو أضعف الإيمان، ولكن الإيمان كله بأن القدس أرضاً وشعباً، هي جزء من الجسد الفلسطيني الواحد، الذي يتجسد في صورة عملاق فلسطيني، يرفع في إحدى يديه غصناً للزيتون، وفي اليد الأخرى إرادة شعب يريد الحياة ويناضل من أجل الحرية والاستقلال .

شعب يتطلع إلى اليوم الذي ترتفع فيه تكبيرات مؤذن المسجد الأقصى، فيستجيب لها المسلمون العابدون في فلسطين وكل العالم، وقد شدوا المآزر وحلوا العقد، وأسرعوا دخولاً عبر بوابات القدس المفتوحة إلى ساحات المسجد الأقصى، وروحانيات قبة الصخرة وحائط البراق، ليؤدوا صلاة المطمئن الوادع كما أداها المسلمون الأوائل، بعيداً عن فوهات بنادق جنود الاحتلال، وغازات سمومهم المقيتة، وحواجز الإذلال المقامة على رأس كل شارع، وأمام كل مدخل متجاوزين بذلك نظرات الحقد والكراهية التي ينظر بها أصحاب القبعات الصغيرة، إلى أصحاب الكوفيات العربية، والوجوه السمر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأخوة الحضور - السيدات والسادة

يسرنا في جامعة النجاح الوطنية أن نرحب بكم جميعاً في فعاليات يوم القدس، الذي تقيمه كلية الآداب في جامعة النجاح الوطنية، في هذا الوقت الذي تواجه فيه مدينة القدس أصعب هجمة استيطانية شرسة تحاول تقطيع أوصالها، والنيل من عروبته، وتغيير معالمها الإسلامية والعربية، ونحن في هذا اليوم لا نريد أن نستعرض المأساة فكلنا يعرف عمق الجرح، ويشخص الداء، ولكننا نسعى إلى أن يكون يوم القدس يوماً للتدارس والبحث، والوصول إلى نتائج تعالج بمنظور علمي واقعي الوضع، وتضع الحلول للتطبيق على أرض الواقع في الحاضر والمستقبل .

ونحن ندرك أننا لا نستطيع أن نفعل كل شيء، ولكن لا أحد ينكر علينا أننا نستطيع أن نفكر، وأننا بالفكر نستطيع أن نرسخ مفاهيم وأسس البقاء والعودة، لأن الآخرين عاشوا في وهم وحولوا الوهم إلى واقع، ونحن نعيش الحقيقة، وهي أقرب إلى الواقع من وهمهم الذي وصلوا به إلى حيث هم عليه الآن .

الأخوة والأخوات الحضور

في مدينة القدس يولد السلام، وفيها تزرع المحبة وتلتقي الأديان، ونحن شعب يحب السلام ويسعى إليه، ولكن السلام لا يأتي على حساب هذه المدينة التي عاشت في الوجدان الفلسطيني عبر آلاف السنين، وظلت تشكل مصدراً روحياً أعمق من مفهوم العاصمة الذي يتمسك به الآخرون، ويزعمون أن القدس لم تكن في يوم من الأيام عاصمة لفلسطين، ونسوا أو تناسوا، أن القدس ظلت عبر التاريخ تشكل مصدراً رئيسياً بين المسلمين المتمسكين بعروبته وإسلاميتها، وبين الغزاة الطامحين في النيل منها، والسيطرة عليها .

وبقيت القدس عبر سلسلة من التضحيات عربية الوجه فلسطينية الملمح والقسمات، وستبقى كذلك إلى أن يرفرف العلم الفلسطيني على أسوارها ومآذنها وكنائسها، وتعود

وإلى أن يرتفع الأذان بحرية في مدينة القدس، ويدخل المصلون في صلاتهم آمنين مطمئنين، تبقى القدس قسماً وعهداً في ذمتكم إلى يوم تبعثون، وهي تردد على مسامعي ومسامعكم أنا القدس، أنا القدس، أنا عرضكم، أنا سيدة أحلامكم، أنا المطعونة بجرح ينزف دماً على ثوب كل واحد منكم . فلماذا أترك بين القيل والقال وسوء المصير والحال، ولماذا أطأئي رأسي في سجلات التاريخ، وأخبئ وجهي في كتب منسية .

استفهامات كثيرة قد نجد لها بعض الإجابات في هذا اليوم الذي نقيمه لا للاحتفال، ولكن لتدارس الأمر، والتذكير به، علناً من خلال هذه العقول المتميزة نستطيع أن نفعل شيئاً، فإن لم نستطع، فيكفي أن نضع تصوراً لإمكانية ما يمكن أن نفعل في المستقبل .

وبعد آيات من الذكر الحكيم ألقى سعادة الأستاذ عبد الغني عنبتاوي، رئيس مجلس أمناء الجامعة كلمة الجامعة .

كلمة الأمين العام المساعد لاتحاد الجامعات العربية

الأستاذ الدكتور إبراهيم الخواجه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سعادة رئيس مجلس أمناء جامعة النجاح الوطنية

سعادة الأستاذ الدكتور منذر صلاح رئيس الجامعة

السيد الدكتور عميد كلية الآداب - رئيس اللجنة التحضيرية للندوة

الأخوة الأساتذة المشاركون في الندوة

السيدات والآنسات والسادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فإن انعقاد هذه الندوة يأتي في أيام رديئة وظروف عربية ودولية صعبة عصيبة، وفي ذروة الهجمة الصهيونية الاستيطانية الشرسة لتهويد مدينة القدس وطمس هويتها العربية والإسلامية، وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاض أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين المسجد الأقصى، ومحاولة جعلها عاصمة أبدية لهم مستثنين في ذلك إلى جملة من الأساطير والخرافات والأضاليل، يدعمها إرهاب فكري وإعلامي وتسانده أعظم دول العالم مساندة واسعة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً معتقدين بأن هذا الباطل سوف يدوم .

إن انعقاد هذه الندوة وفي هذه الأيام بالذات يجب أن يستغل لتسليط الأضواء الكاشفة على مختلف جوانب قضية القدس، وبشكل خاص الحقوق العربية والإسلامية والمسيحية والتي لا يمكن محوها بالاحتلال وبالقوة العسكرية الغاشمة وتزوير التاريخ، يجب أن تسلط الأضواء على مختلف مشاهد الظلم الذي لحق بالقدس وأهلها، وعلى المحاولات المستميتة للاحتلال لعزل سكان القدس العرب مسلمين ومسيحيين عن أهلهم في فلسطين، وبالتالي إلى تهجيرهم وإجبارهم على ترك مساكنهم والتضييق عليهم، ونزع صفة المواطنة عنهم، وانتزاع ممتلكاتهم

حرة إلى أصحابها وأهلها الذين يعيشون فيها، وإلى المحرومين منها على بعد أمتار قليلة من حواجز مصطنعة تفصل بيت المقدس عن أكنافه، والقدس عن أهلها . ولا أقل من أن تكون القدس عاصمة أبدية لفلسطين .

وفي الختام أرحب بكم مرة أخرى، وأتوجه بالشكر إلى القائمين على هذا اليوم، وإلى اللجنة التحضيرية وكلية الآداب التي تنظم في كل عام هذا الملتقى حول القدس .

كما أتوجه بالشكر إلى المشاركين والحضور، وأتمنى لكم التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

ومصادرة أراضيهم لإقامة المستعمرات عليها، وتطويق المدينة المقدسة وتشويه معالمها الدينية والتراثية والتاريخية، ولأن القدس تتعرض في هذه الآونة لأكبر عملية تزوير رغم تاريخها العريق الذي لا يمكن تصويره وتزويره ابتداء من عهد الكنعانيين العرب إلى يومنا هذا، أو مروراً بالمسيح عيسى بن مريم، عليه السلام وكنيسة القيامة وطريق الآلام، وسيدنا محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم وإسرائيه ومعراجه ومسجده الأقصى، وعمر بن الخطاب وعهدته العمرية، وصلاي الدين الأيوبي وتحريره للقدس، لكل تلك الأسباب لم يكن من الممكن لاتحاد الجامعات العربية إلا أن يلبي شاكراً الدعوة التي تلقاها من سعادة رئيس الجامعة لحضور فعاليات ندوة يوم القدس الثانية، وإنه لمن دواعي سروري أن أكون بينكم وفي جامعتي العزيزة ممثلاً لأسرة الأمانة ومجلس اتحاد الجامعات العربية الذي كان هدفه الأساسي " دعم الجامعات العربية في إعداد الإنسان القادر على خدمة أمته العربية وتحقيق تطلعاتها، وذلك بالعمل على أن تلتزم الجامعات العربية بالقيم النابعة من عقيدة الإسلام ورسالته الخالدة، وتطبيقها فكراً وعملاً، والسعي لتحقيق هذا الهدف بجميع الوسائل المشروعة ولذلك كان الاتحاد وما يزال حريصاً على المشاركة في حضور وعقد الندوات والمؤتمرات ولا سيما عندما تتصل هذه الندوات بمقدسات الأمة".

أيتها السادة ليس أعز من القدس، ولا أغلى من الأقصى وكنيسة القيامة، وأهم من فلسطين تعقد من أجلها الندوات، وإن اهتمام اتحاد الجامعات العربية بالملف الفلسطيني لهو مميز جداً ويفوق كل اهتمام، وما من مرة تقدمت الجامعات والمؤسسات الفلسطينية إلى الاتحاد بطلب إلا وكان محط الاهتمام والعناية، ومز أجل ذلك فقد تعاون الاتحاد مع لجنة يوم القدس مع علمه الأكيد بأنها ليست مؤسسة أكاديمية. فحضر مؤتمراتها وندواتها، وقام بتعميم التوصيات الصادر عنها والتي تتصل بالجامعات ومؤسسات البحث العلمي، على نحو ما حدث في اجتماع مجلس الاتحاد، في رحاب جامعة بيروت العربية عام ١٩٩٤ حيث أقر المجلس تعميم توصية لجنة يوم القدس المتعلقة بدعوة الجامعات العربية لتدريس مقررات دراسية حول مدينة القدس، وعلى نحو ما كان من مجلس الاتحاد عندما أقر إنشاء صندوق لدعم الجامعات الفلسطينية، وذلك في اجتماع مجلس الاتحاد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

ملخصات البحوث

محمد ذياب أحمد أبو صالح

دائرة أوقاف الخليل

القدس في عهد الساميين

اشتق اسم الساميين من سام بن نوح، عليه السلام، وهي تسمية لغوية تطلق على الذين تكلموا اللغة السامية، حيث هاجر الساميون منذ عصور موغلة في القدم من الجزيرة العربية إلى العراق ومصر والشام.

و ارتبط الساميون بالدين ارتباطاً وثيقاً فتكرست العبادة عندهم " بإله واحد " . ومن المدن السامية " القدس "، حيث كان فيها عبادة محلية تختص بها، ولأهميتها وقداستها دار خلاف حول نشأتها . ولعل أهم الآراء الجديرة بالمناقشة ذلك الرأي القائل إن أول من بناها وسكنها وسماها هو سام بن نوح وأنها ترجع إلى سيدنا نوح في نشأتها . وسكان فلسطين وجوهرتها " القدس " كما هو معلوم، يرجعون إلى أصول سامية، والساميون عرب، وقد عزز هذا الرأي الدكتور أحمد سوسة في كتابه العرب واليهود في التاريخ، وقد عاش سكان البلاد الأصليين الذي هاجروا من الجزيرة العربية في وطنهم " كنعان " أكثر من ألفي سنة قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الأحداث . وقد أيد هذا الرأي المؤرخ الكبير مصطفى مراد الدباغ في موسوعته بلادنا فلسطين . ويقول سبرنجر إن جميع الساميين عرب، ويذكر ابن خلدون في مقدمته أن أول ملك في فلسطين في فجر تاريخها كان للعرب.

✓ القدس في عهد الكنعانيين

سميت بلاد فلسطين بأرض كنعان أي الأرض المنخفضة . وأما اسم فلسطين فقد رده الباحثون إلى أصول يونانية، وذكر هذا الاسم في نصوص العهد القديم في التوراة بصيغة " فلستيم " . ويذهب بعض الباحثين إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى أن الكنعانيين كانوا في هذه البلاد قبل سبعة آلاف سنة إبان بناء مدينة أريحا .

وبقي الصراع بيد أهل البلاد الأصليين الفلسطينيين والأمم الغازية مثل الخبيرو أو العبيرو وبني إسرائيل والأمم اللاحقة إلى أن امتدت جذوره إلى أيام تيه بني إسرائيل في صحراء التيه . حتى دخلوا في صراع حقيقي مع الفلسطينيين بقيادة يوشع بن نون، رغم تحقيقهم بعض الانتصارات إلا أن الفلسطينيين لم يتنازلوا عن تواجدهم في مدنهم حتى في أوج عظمة الممالك الإسرائيلية، كما أنهم لم يتنازلوا عن تواجدهم في عصور الفراعنة والفرس والرومان .

والكنعانيون ساميون وكان وجودهم في فلسطين قبل مجيء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام إليها . والأدلة العلمية والحفريات الأثرية والنصوص التوراتية أكبر دليل على هذا العمق التاريخي . ونستدل بذلك على أن :

١ . هناك العديد من النصوص التوراتية التي تذكر الفلسطينيين صراحة في طياتها بأنهم هم أهل البلاد .
٢ . تنص النصوص التوراتية صراحة على أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام كان غريباً في هذه البلاد وأنه كان بدوياً متنقلاً بماشيته، وكانت حضارة قبله في هذا الوطن . ولا أدل على ذلك من أنه اشترى المغارة من عفرون بن صوحر الحثي .

٣ . كان للفلسطينيين حضارات وممالك وملوكاً نزل عندهم سيدنا إبراهيم الخليل مثل: أبي مالك في منطقة جرار . كما أنه نزل عند الملك صادق " ملك اليبوسيين في القدس " . أما بالنسبة إلى القدس ومكانتها الدينية فقد كانت من بين المدن الكنعانية التي كانت تختص بها عبادة محلية . وقد ورد ذكرها في وثائق تل العمارنة باسم بيت " نينورتا " هذا الاسم الذي تتضح أبعاده أكثر إذا علمنا أن موقع، إله النار الكنعاني " مولك " كان في جنباتها وتحديداً في وادي جهنم حيث

كان يصنع من النحاس على هيئة جسد إنساني له رأس عمل يطوقه إكليل ويجلس على مقعد ماداً ذراعيه . وكان المقعد والصنم مجوفين توقد فيهما النار . ويفزع المتعبدون لقساوة هذا الإله فيفرون منه إلى رأس الجبل الإله شالم (إله السلام والرحمة) وقد عثر في رأس شجرة على وثائق تحكي قصة مولد إلهين سحر ونجمة الزهراء، وشاليم الذي يفيض بالنور .

وقام النحاتون الكنعانيون بحفر نفق باتجاه القدس وقابلهم نحاتون آخرون من جهة القدس صوب مياه عين سلوان إلى أن التقوا في نقطة واحدة . وعثر في داخل هذا النفق على نقش يروي حكاية شق في الصخر . وكانت القدس محط أنظار الغزاة الذين يحيطون بها من إمبراطوريات قديمة . فكان لا بد من تأمين جميع أساليب الحماية والدفاع عنها من قبل أهلها فبنوا الحصون والقلاع لمقاومة الطامعين .

✓ القدس في عهد اليبوسيين

تفرع اليبوسيون عن الكنعانيين فبنوا مدينتهم التي سموها باسمهم " ييوس " وقد عثر على ذكر اليبوسيين في عيون مياه جازر " أبوشوشه " والحصون التي في المدينة . والأدلة التوراتية كثيرة تدل على أن أصل هذه البلاد كان لليبوسيين . فقد بنى ييوس أهلها اليبوسيون الكنعانيون الساميون قبل ثلاثة آلاف سنة من الميلاد بسواعدهم وحفروا بيوتهم بأيديهم وحموها من الطامعين بصدورهم . وكان ملوكها على قدر من الوعي والقدرة وهم :

١- ملكي صادق : الذي حل عليه ضيفاً سيدنا إبراهيم الخليل في القدس . وقد هناه على انتصاراته على كدر بعور العيلامي . حيث كانت القدس في عهده تسمى شاليم واعترافاً بفضل قدم له عشر الغنائم . وورد اسمه في نقش تل العمارنه وذكرت القدس - أورسلمو وأورسالم - . ويقول ابن العبري إن الذي بنى القدس - ملكي صادق - وجاءت تسميتها باسمه - سالم أو شاليم - كما أطلق على ملكيها (ملك السلام) .

٢- أدوني صادق : سيد العدل حيث دارت معركة شرسة بينه وبين يوشع بن نون .

٣- سالم اليبوسي : وهو الذي شيد برجاً للدفاع عن القدس فوق جبل صهيون .

القدس في عهد الفراعنة

خضعت القدس لحكم الفراعنة، فقد عثر في تل العمارنة على ألواح تضمنت رسالة من حاكم يبوس (عبد خيبا) إلى تحتمس الأول عام ١٥٥٠ ق.م يطلب منه فيها رد شرائم الجنير . كما ورد ذكر اسم القدس (يبوس) في الكتابات المصرية الهيرغليفية باسم (ياثبي / يابتي) وهو تعريف للاسم الكنعاني . وتوطيداً للعلاقة بينه وبين سكان القدس المصريين، فقد تزوج سيدنا سليمان، عليه السلام، ابنة فرعون مصر .

القدس في عهد خروج بني إسرائيل من مصر

لم يجرؤ بنو إسرائيل دخول فلسطين لأن فيها قوماً جبارين فاتجهوا جهة الشرق وقبض سيدنا موسى، عليه السلام، إلى جوار ربه ودفن في جبل " نبو " بالقرب من مادبا . واستمر الصراع بينه وبين إسرائيل والفلسطينيين عدة عقود من الزمن فلم يدخلوا القدس بسهولة إلى أن كتب لهم ذلك . وفي هذه المرحلة لم ينقرض الفلسطينيون بل عاشوا في وطنهم وعلى ثرى بلادهم، وكانوا موجودين فيها، يعيشون في أحياء القدس جنباً إلى جنب مع الغزاة .

القدس في عهد سيدنا داود وسليمان عليهما السلام

إننا نحن المسلمون نؤمن بالرسالات السماوية جميعها لا نفرق بين أحد من رسله وفي عقيدتنا أن داود وسليمان أنبياء مرسلون . فالفترة الحنيفية التي جاء بها جد الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل، عليه السلام، سرت في الرسالات السماوية جميعاً . وكان الصراع بين الفلسطينيين وبني إسرائيل عنيفاً إلى أن استطاع الفلسطينيون أن يهزموا بني إسرائيل ويستولوا على تابوت العهد . وكان من أشهر المعارك بينهما معركة " أفيق " التي سحق فيها الفلسطينيون بني إسرائيل . كما أن سيدنا داود، عليه السلام، التجأ إلى الفلسطينيين في بداية حياته في مدينة صقلع، إلى أن عاد إلى قومه وقتل داود جالوت بإذن الله، والأيام دول . فحكم سيدنا داود وابنه سليمان، عليهما السلام، من بعده في القدس ولم تدم، حكومتها أكثر من ٨٠ عاماً

إلى أن انقسمت مملكة بني إسرائيل بعدهما . وطيلة هذا الحكم لم يتوقف الصراع بين الفلسطينيين وبني إسرائيل حيث كانوا يسكنون في الشمال منطقة الجليل وسواحل فلسطين الجنوبية والغربية .

القدس في عهد الآشوريين

بانتهاء حكم سيدنا سليمان، عليه السلام، بدأ الصراع بين مملكتي بني إسرائيل الشمالية والجنوبية فأنهك قواهما، مما أغرى ملوك الآشوريين للانقضاض على القدس فحاصروها واقتحموها وأسروا ملكها آنذاك .

القدس في عهد الكلدانيين البابليين

في عام ٥٧٩ ق.م تمكن البابليون من الاستيلاء على القدس وسبى نبوخذ نصر أهلها من اليهود . وأحرق الهيكل واختفت نهائياً مملكة اليهود عن الوجود إلى أن جاء كورش عام ٥٣٨ ق.م وأعاد من رغب للعيش في القدس .

القدس في العهد اليوناني

بعدما اكتسح اسكندر المقدوني الشرق توجه إلى القدس ، فقابلته من بقي من شيوخ بني إسرائيل، واستعدوا أن يقدموا له المساعدة وأن يسيروا معه جنوداً منهم على ألا يقوم جنوده بالاعتداء عليهم، علماً بأن جنوده كانوا يتحفزون للانقضاض على من تبقى من بني إسرائيل . وتم لهم ذلك إلى أن انتهى دوره حيث اقتحم انطيوخوس أبيفانوس القدس فقام بنهبها وتدمير الهيكل . واعتنق من تبقى من اليهود مذهبه وفر منهم من فر خارج القدس .

القدس في عهدي الفرس والرومان

كان الصراع محتتماً بين الفرس والرومان على هذه البلاد، وكانت القدس تقع أحياناً في أيدي هؤلاء أو أولئك . ففي عام ٦٦ ق.م بدأ اليهود المتواجدون في هذه

البلاد بالعمل ضد الرومان فأرسل الامبراطور الروماني قائده تيطس عام ٧٠م وقاد حملة على اليهود حيث دخل القدس فدمر الهيكل ونهبه وأحرق المدينة .

وعلى أثر ثورة اللص المارق باركوخبا . قام الرومان بسحق من تبقى من اليهود، ويقول مجير الدين الحنبلي : لم يبق لليهود بعد هذه الأحداث رئاسة ولا حكم، القضاء عليهم وحولت القدس إلى مستعمرة رومانية .

القدس في عهد البيزنطيين

اعتنق الامبراطور البيزنطي قسطنطين الديانة المسيحية فاضطهد اليهود . فقامت الملكة هيلانه فأمرت ببناء كنيسة الجثمانية ودكت آثار الهيكل وأمرت بوضع القمامة فيه .

القدس عربية الأصول والجنود

مما تقدم نستدل على أن القدس من أعرق مدن العالم وأقدمها . وجميع المكتشفات الأثرية تعمق الاعتقاد القائل بأنها بنيت قبل آلاف السنين منذ عصور مغللة في القدم من عهود الساميين الأولى واليبوسيين وأن تاريخها يرجع إلى الأمم الغابرة ولم يرتبط ابتداء بوجود بني إسرائيل . فالأدلة التوراتية والحفريات والآثار تبنت ذلك وهذا ما تم اكتشافه في تل العمارنه واوغاريت .

تشوِّف الدعوة الإسلامية إلى بيت المقدس

منذ فجر الدعوة الإسلامية والتوجه نحو هذه الديار متأجج في صدور المسلمين . فقد أسرى برسول الله، صلى الله عليه وسلم، من مكة المكرمة إلى بيت المقدس : قال تعالى " سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير " .

وبعد تركيز دعائم الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بدأ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بتوجيه الدعوات إلى ملوك العالم وركز على بلاد الشام يدعوه للدخول في الإسلام .

ووجه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الغزوات نحو بلاد الشام امتداداً لنشر الدعوات الإسلامية وخص بيت المقدس في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة قبل فتح هذه البلاد . منها قوله صلى، الله عليه وسلم، " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا " .

وتم توجيه الجيوش الإسلامية نحو هذه البلاد في عهد أبي بكر الصديق . وقام عمر بن الخطاب بإرسال الجيوش الإسلامية إلى بلاد فلسطين وإجراء الفتوحات الإسلامية ودخول بيت المقدس بشخصه.

هذه هي القدس العربية الأصول والجنود الإسلامية التاريخ والحضارة التي عاشت في أكنافها خمسة عشر قرناً . ولا يمكن للغزاة الطامعين مهما أوتوا من قوة من تغيير الحقائق التاريخية مهما قسا القساة وطمع الطامعون . والله نسأل أن يعود الحق لأصحابه والقدس لأهلها .

محمد حافظ الشريده

أستاذ مساعد في كلية الشريعة - جامعة النجاح الوطنية

لقد طلب أبو الأنبياء إبراهيم، عليه السلام، من ابنه إسحق وحفيده يعقوب، عليهما السلام، أن يتعهدا بيت المقدس بفلسطين، وطلب من ابنه إسماعيل، عليه السلام، أن يتعهد البيت الحرام بمكة المكرمة، ثم نال شرف رعاية المسجدين المباركين : النبي الرسول الخاتم، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

وقد فتحه الفاروق عمر، وحرّره البطل صلاح الدين الأيوبي، ونحن بانتظار الخليفة المسلم - أو الإمام المهدي - لإعادته إلى حظيرة الإسلام من جديد، وما ذلك على الله بعزيز!

إن المسجد الأقصى المبارك هو أولى القبلتين، وثاني مسجد وضع في الأرض - بعد المسجد الحرام، وثالث المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها ... وقد بنته الأنبياء، وجدّدته الخلفاء، وسكنه وشدّ الرحال إليه كثير من الأولياء، وانتسب إليه وزاره كثير من العلماء، وسقط على أرضه الطهور كوكبة من خيرة الشهداء، وقام بالتدريس في ساحاته مشاهير الأدباء والمؤرخين والفقهاء !

لقد قيل : بأن الذي بنى المسجد الأقصى : ملائكة الله الكرام، وقيل : بأنه آدم، عليه السلام، وقيل : بأنه إبراهيم، عليه السلام، وقيل : بأنهما إسحق ويعقوب، عليهما السلام، وقد قام ببناؤه من جديد : داود وسليمان، عليهما السلام، وأمر بتنظيف مكانه وإعادة بنائه : الخليفة عمر، رضي الله عنه، وجدّد بناءه وبنى قبة الصخرة المشرفة في ساحته أعظم خلفاء بني مروان : عبد الملك وابنه الوليد، رحمهما الله، وتولى رعايته وصيانته والمحافظة عليه : خلفاء المسلمين وأمرأؤهم على مدار التاريخ !

لقد فضل الله تعالى فلسطين - بشكل عام - وبيت المقدس - بشكل خاص
والمسجد الأقصى المبارك - بشكل أخصّ : على كثير مما خلق تفضيلاً كبيراً هو قاهر الغزاة الظلمة، وواحة السلام، وملحمة النور إلى يوم النشور، وهو الذي
ولو استعرضنا ما ورد في نصوص الكتاب والسنة من آيات كريمة وأحاديث ثبتت - على مدار التاريخ - أن الظلم لا يدوم فيه أكثر من قرن من الزمان !
نظالمه مقهور، ومعمره - مادياً أو معنوياً - منصور على مرّ الدهور وكرّ
شريعة تتحدث عن الأرض المباركة لضاق بنا المقام !

العصور !! والتجربة أكبر برهان ... والتاريخ أكبر شاهد على ما نقول !!

إن فضائل المسجد الأقصى - وفضائل ما حوله - تكاد لا تعدّ ولا تحصى . لقد أسرى الله تعالى بعبده محمد، صلى الله عليه وسلم، من المسجد الحرام
وقد بارك الله البيت المقدس - مادياً ومعنوياً - بالرسالات الإلهية، وبالشماعة المكرمة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، ومن ثم عرج به إلى السماوات
والأنهار ... وجعله الله معدن الأنبياء، وموئل الأتقياء، وعش العلماء، وعقر الدعاة، وفي ذلك إشارة واضحة إلى ارتباط كل من المسجدين ببعضهما ارتباط
المسلمين في نهاية الزمن عند وقوع الفتن، وإليه تمت رحلة الإسراء ومنه كالروح بالجسد واللحم بالدم ! وهذا يعني أن أي اعتداء على أحدهما اعتداء على
المعراج، وهو أرض المحشر والمنشر، وأهل فلسطين مرابطون إلى يوم الدين ! بل اعتداء على جميع أماكن عبادة الله في الكرة الأرضية !! إن جميع
والركعة في الأقصى بخمسمائة ركعة، وحول أرضه المباركة الطهور : تعين المسلمين في العالم اليوم يحملون مسؤولية الدفاع عن المسجد الأقصى المبارك
الطائفة الظاهرة المنصورة بإذن الله ! وهو درة بيت المقدس : (الدرة المغتصبة رمز الإسراء والمعراج) .

والفردوس المفقود وجنة الدنيا وصرة العالم ومهوى أفئدة الناس) .
والقدس - وما حولها - هي أكثر بقعة في الأرض دار حولها الصراخ والديار الفلسطينية عام ١٩٦٧م - بخطوات كبيرة كثيرة حثيثة مدروسة لتهود بيت
المرير بين الحق والباطل منذ فجر التاريخ وحتى الآن، وإلى أن يتكلم الشعب المقدس على مراحل !! ففي عام ١٩٦٩م تمت جريمة إحراق المسجد الأقصى !
والحجر - في زمن الإمام المهدي وعند نزول المسيح، عليه السلام، قبيل قبلي في عام ١٩٨١م قام المجرم اليهودي (غولدمان) باقتحام الأقصى وقتل بعض
الساعة - فيقولان : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي وراني تعال فاقتله ! ولمصلين فيه وجرح أكثر من ٦٠ مصل ! وفي عام ١٩٩٠م حدثت مذبحة
أصدق من الله قتيلاً ؟!! (... فإذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا وجوهكم وليدخلوا الأقصى : حيث قتلت قوات الاحتلال ١٨ فلسطينياً، وجرح أكثر من ١٥٠
المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) [الإسراء : ٧] .
تظاهراً !! وفي عام ١٩٩٦م قامت السلطات الإسرائيلية بفتح النفق أسفل سور

إن ما يزيد عن ألف مليون مسلم في أرجاء المعمورة يرتبطون بالمسجد الأقصى، بحجة تنشيط السياحة في القدس ! مع أن الهدف الحقيقي
الأقصى المبارك : عقائدياً، وإن ما يقرب من ثلاثمائة مليون عربي في منطقة معروف للقريب والبعيد والصديق والعدو والعالم والجاهل : هو البحث عما
الشرق الأوسط يرتبطون بالأقصى : عقائدياً وقومياً، وإن خمسة ملايين ونيّف مسمى بهيكل سليمان وهدم الأقصى وبناء الهيكل على أنقاضه - لاسمح الله - !!
الفلسطينيين - في الداخل وفي الشتات - يرتبطون بالمسجد : عقائدياً وقومياً في هذا العام ١٩٩٧م قامت سلطات الاحتلال بأعمال الحفر والبناء في جبل أبو
ووطنياً !! وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الصراع بيننا وبين أعدائنا (في منطقة القدس) ! وفي هذا العام أيضاً : أجتلت هذه السلطات بناء حيّ
صراع ديني تاريخي حضاري قديم حديث لا مجال للتهاون فيه ! وإن كرهودي في قلب القدس (في منطقة رأس العامود) إلى إشعار آخر ! أما قبة
المشركون والمنافقون !!

المسجد الأقصى : كي يغفر الله ذنوبهم.. وأتباعه - يهود اليوم - حسب زعمهم !
يصدون الناس عن الصلاة فيه ... وهم يحسبون أنهم أحباب الله وشعبه المختار !!

إننا معشر الغرباء في أرض الإسراء نعتزّ بحكم أنبياء الله - من بني إسرائيل - وغيرهم لبيت المقدس وما حولها : كاعتزازنا - بل أكثر قليلاً - بحكم الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ... ونعتقد أن أنبياء الله جميعاً لا علاقة لهم بكل من آذى الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وعباد الله - المسلمين منهم وغير المسلمين على حد سواء ! -، وليس الغريب أن يعتزّ العدو بباطله ! وإنما الأعجب والأغرب : أن يخجل أصحاب الحق من الانتساب لدعوة التوحيد والحق !!

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم !
والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون !!

إن دولة إسرائيل لا تملك سوى حق القوة وما يسمّى (شريعة الغاب) ولكن الشعب الفلسطيني الصامد يملك قوة الحق : (شريعة ربّ الأرباب) وللباطل - كما يقال - جولة... وللحق جولات... ودولة الظلم ساعة ... ولكن دولة الحق إلى قيام الساعة ! والعاقبة للمتقين ... ولا عدوان إلا على الظالمين وفي ظل النظام العالمي الجديد ... وفي عهد ما يسمّى بمجلس الأمن ومحكم العدل الدولية، قامت قوات الاحتلال بهدم وإزالة ومصادرة الأراضي والمنازل والمدارس والزوايا والأربطة والحارات والآثار الإسلامية حول المسجد الأقصى !! واستولت على آلاف الدونمات في القدس الشريف ! وبنت آلاف الوحدات السكنية في العاصمة المقدسة ! وأقامت آلاف الوحدات السكنية بالقرب من المسجد المبارك ! وبنت مئات المستوطنات في مدينة القدس وأكنافها ! ثم قامت السلطات بحفريات - مدروسة - أسفل العقارات الوقفية والأثرية الإسلامية الملاصقة للمسجد الأقصى : تمهيداً لهدمه وإقامة الهيكل الثالث على أنقاضه (قدّر الله) !

إن خليل الرحمن أبا الأنبياء إبراهيم، عليه السلام، الذي ينتسب إليه يهر اليوم زوراً وبهتاناً، ما كان في يوم ما يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده - كما هو معلوم لدى الجميع ! -، وإن بلادنا فلسطين الطيبة الطهور : مقدّسة ومباركة قبل ميلاد موسى، عليه السلام، وقبل دخول نبي الله يوشع، عليه السلام، إليها بمئات السنين !! ومما يلفت النظر ويدعو للدهشة والاستغراب : أن سليمان بن داود، عليه السلام، دعا الله تعالى بعدما فرغ من بناء المسجد الأقصى : أن يغفر الله تعالى ذنوب كل من ييمّم وجهه للصلاة في البيت المقدس ! فاستجاب الله له كما ورد ذلك في الحديث الصحيح ... ولكن دولة إسرائيل اليوم، وهي التي تنتسب لنبي إسرائيل - وهو عبد الله ورسوله يعقوب، عليه السلام، وهي التي تسعى جاهداً لإقامة هيكل سليمان على أنقاض الأقصى : تمنع كل من يريد أن ييمّم وجهه للصلاة في الأقصى من الشعب الفلسطيني، فنبي الله سليمان - أحد بناء الأقصى - يحثّ المسلمين - في أي زمان أو مكان حتى قيام الساعة - على الصلاة في

الاستقرار العربي الإسلامي في بيت المقدس حتى

نهاية العصر العباسي الأول

١٦-٢٣٢هـ / ٣٧-٨٣٢م

محمود سعيد إبراهيم موسى

باحث - مركز إحياء التراث - القدس

تتعرض مدينة القدس إلى حملة تهويد واسعة تستهدف الأرض والإنسان وهويتهما العربية والإسلامية . ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يتناول الاستقرار العربي الإسلامي في بيت المقدس حتى نهاية العصر العباسي الأول ١٦ - ٢٣٢هـ / ٣٧ - ٨٣٢م ولا سيما أننا نسمع الكثير عن تحضيرات الطرف الآخر للاحتفال بمناسبة مرور ثلاثة آلاف عام على مملكة داود عليه السلام وأنه لم يتم تناول جوانبه التفصيلية بصورة شاملة؛ بحيث تشمل جغرافية بيت المقدس التاريخية، والجذور التاريخية للسكان قبل الفتح، وإجراءات الخلافة بعد الفتح، وتعريب بيت المقدس وأسلمتها، والجوانب الحضارية والثقافية التي تمثل ذلك .

وتمثل كورة بيت المقدس إطاراً مكانياً عاماً للدراسة . ويقصد بها المدينة والقرى التابعة لها . وتحصر طبيعياً بين جبال نابلس في الشمال، وجبال الخليل في الجنوب، ونهايات السهل الساحلي في الغرب، وامتداد نهر الأردن في الشرق . وتغلب الجبال على تضاريسها المتباينة في الارتفاع والانحدار من مكان إلى مكان آخر . ويظهر أثرها مع عناصر المناخ الأخرى على السكان الذين يغلب عليهم نمط الاستقرار الدائم المعتمد على ممارسة الزراعة منذ ٦٠٠٠ ق.م. على جبال القدس وسفوحها الغربية، وسكان نمط الاستقرار شبه الدائم الذي يجمع بين ممارسة الزراعة والرعي، ويغلب على الأجزاء الشرقية التي عرفت تاريخياً بالبرية . وتدل بعض الحفريات على نمط ريفي متقدم مارس فيه أجدادنا الزراعة المروية في أريحا منذ الفترة الواقعة بين ١٠٠٠-٨٠٠٠ ق.م .

وتتلخص الآثار الطبوغرافية والبيئية على مدينة القدس على موضع الميسطين شمالاً ومجاورتهم لمدينة القدس، وانتشار بعض الأنباط والفينيقيين وامتدادها العمراني ومصادر مياهها وطرق مواصلاتها والحرف التي شاعت في المصريين حولها، ثم إسكان هادريان جنوده من السوريين العرب في المدينة التي فقد اختيار موضعها على أكثر التلال انبساطاً (أوفل / الضهور) ثم بنزل إلى الشرق منها جموع من بني القين وعشيرة ضجعم أيضاً . وقد تواصل بالانتشار وأحيطت بالسور . وبمجيء الإسلام الذي وفر الأمن طوال عتق استقرار بطون من الغساسنة في المدينة وقراها منذ القرن الرابع قبل الميلاد كلما متواصلة غلب التوسع العمراني على الجهتين الغربية والشمالية الشرقية معاضد دورهم السياسي حتى ظهر دور أكبر للزعامات العربية المحلية من لخم المسجد الأقصى . وتطلبت المياه والمواصلات في المدينة جهداً يدوياً شاقاً لتوليد جذام على أثر نقض هرقل للتحالف البيزنطي - الغساني قبيل الفتح العربي الآبار والبرك وتسهيل الانتقال . واعتمد المقدسيون على الأراضي المجاورة للإسلامي للمدينة عام ١٦هـ / ٦٣٧م .

بالزراعة، وأقاموا العلاقات الحسنة التي يسرت احترافهم للتجارة .
وتجددت صلات اليهود ببيت المقدس خلال فترة السيطرة الفارسية
٥٣١ - ٣٣٤ ق.م. إلا أنها بقيت ضعيفة . واستناداً للكتاب المقدس فإنه يكاد ألا
فمن أهل بيت المقدس هؤلاء . وما هي جذورهم

الحقيقة أن توافر المعلومات حولهم في الروايات والأخبار المتناثرة يظهر أي نشاط سياسي لهم قبل القرن الأول قبل الميلاد الذي شهد العصيان المكابي مصادر تراثنا بعامة نادرة جداً، ولا تتجاوز تأكيدها على أنهم من العرب . ولإقيام الأسرة الحشمونية التي سرعان ما انهارت ١٠٠ - ٦٣ ق.م نتيجة لسياسة المخلفات والدراسات الأثرية أصبحت من أهم مصادر كتابة التاريخ، وهي تقدم لتهويد التي انتهجت مع السكان العرب، وتباين مواقفها من السلطات الرومانية - في هذا الاتجاه الدلائل على ابتداء هجرات العموريين والكنعانيين من شبه جزيرتك الإجراءات التي انتهت بإصدار هادريان مرسومه الشهير القاضي بتحريم العرب في نهاية الألف الخامسة قبل الميلاد، واندماجهم بالسكان والبيئة المحيطة بهم وزيارتهم لقضاء القدس . ولم ينقض هذا المرسوم حتى الفتح الإسلامي حتى غلب طابعهما عليهما بحلول الألف الثالثة قبل الميلاد؛ مخلفين أبرز للمدينة . وما يقال عن رعاية فارسية لليهود خلال محاولات احتلالهم للمدينة كان حضاري لهم موثقاً باسم مدينة (أوروسالم / شالم) طوال الفوقاً؛ إذ طردوهم منها بعد الاحتلال عام ٦١٤م.

٢٥٠٠ - ١٨٤٢ ق.م، تم باسم ييوس الذي ترادف مع الاسم الأول حتى إنه . ولم يتساهل هرقل بعودتهم إليها يوم كانت له الغلبة على الفرس عام ٦٢٦م .
الامبراطور الروماني هادريان مدينته الجديدة (إيليا كابيتولينا) عام ١٣٥م باستناداً إلى دراسة البروفسور مايكل آفي يوناه (M. Avi Yonah) فإن نسبة القضاء على العنصر الكنعاني العربي ومنجزاته الحضارية والثقافية التي أثبتت اليهود في فلسطين قبل الفتح لم تتجاوز عشر السكان توزعت جميعها خارج حدود غزو القبائل البدوية التي اصطلاح على تسميتها فيما بعد بالعبرانيين كان طارق قضاء إيلياء . كما أورد المؤرخ أوسابيوس القيصراني عام ٣٣٧م نحو ٤٠٠ قرية بسبب عدم أصالة جذور تلك القبائل ولا منجزاتها، وحروبهم الداخلية، والتنافس الفلسطينية ووصف منها إحدى عشرة قرية بأنها يهودية الديانة، وست قرى سامرية السياسي بين طرفي السيادة العربية آنذاك في بلاد الرافدين ومصر، الذي أنه - لم تكن أية منها ضمن حدود إيلياء . ويمكن الإضافة هنا ما أدت إليه الإجراءات عن سبي نبوخذ نصر لهم عام ٥٦٧ ق.م؛ في حين أن التوراة تؤكد على عام مع يهود الحجاز من متابعة إجلائهم حتى عام ١٤هـ / ٦٣٥م وإقامة بعضهم في العنصر اليبوسي / الكنعاني على من سواء طوال تلك الفترة .

ويفهم من بعض الوثائق والمخلفات الأثرية وبعض الإشارات التاريخية
المتصلة بالفترات اللاحقة تتابع الاستقرار العربي في بيت المقدس من حين
آخر . ويمكن إجمال إشارات تلك المصادر بامتداد الأدوميين العرب من جنه
من سكان بيت المقدس التي استقطبت الراغبين في الثراء من التجار والنبلاء وكبار
الملاكين علاوة على العسكريين . وتعد سعة أملاكهم وأملاك رجال الدين وأفراد
الطبقة الحاكمة من أبرز ما يجدر الالتفات إليه .

ويبين تناول إجراءات المسلمين في بيت المقدس الكم الهائل من معطيات التكوين التاريخي لأمتنا في مدينتها المقدسة . وتتعلق تلك المعطيات من كمدننتنا قبله المسلمين الأولى، ومسرى الرسول، صلى الله عليه وسلم، ومعراء الذي أسبغ الله تعالى حلة شرف من البركة والخير . وكانت تلك الإشارات الذين لم يتخلوا عن اللغة العربية . كما أدخلوا بعض الأعراف والعادات والتقاليد لا يشجع على الاستقرار فيها ويستقطب الكثير من أفراد القبائل حتى العصر الأموي؛ سيما في الألبسة والأطعمة . وأخذوا عن فلسطيني بيت المقدس العرب ما لم ثم من الزهاد والمتعبدين والمتصوفة فيما بعد .

وتبدأ الإجراءات بإقرار الخليفة عمر بن الخطاب مصالحة أبي عبيدة النصارى على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم مقابل أداء الجزية . وبوقد بدأ تركيز هذا الاهتمام قبل الفتح على سكان الريف الذين سارعوا إلى اعتناقه . ذلك على عدم التعرض إلى السكان الأصليين، وعلى الحفاظ عليهم وعلى ممتلكاتهم وقد نظم تنظيمًا دقيقاً بعد الفتح؛ فشمّل تعيين أماكن التعليم والمعلمين وأرزاقهم، سواء أقاموا في المدينة أم في ريفها الواسع . واستقرت التنظيمات على فروع وتنوعت المواضيع التي تم تناولها . وقد اضطلعت المساجد بالدرجة الأولى الجزية عليهم والخراج على أراضيهم . أما ما نجده من اشتراط النصارى بالأسلمة . وكان تعيين عمر بن الخطاب موضعاً للصلاة في الحرم وفي بيت لحم سكنى اليهود في القدس فيعبر عن اتجاهات تالية للقرن الهجري الأول، وتناهدا دلالة خاصة في هذا المجال، تتفق وما تؤكد نقوش الآيات القرآنية الواردة على الشعور القومي لدى عرب المدينة الذي وجه بما اكتسبه العرب من مرونة وتوازنية الصخرة من حوار إسلامي - مسيحي (الجدل) . كما كان للكتاتيب دورها في تعليم صغار السن . ولم يتم تجاهل تعليم المرأة في هذا المجال . وكان المعلمون

وساعدت الإجراءات على شيوع العلاقات الحسنة بين المسلمين والنصارى من كبار الصحابة مثل : معاذ بن جبل الذي سبق له أن نفذ هذه المهمة بنجاح في اليمن، وعبادة بن الصامت الذي ساهم بجمع القرآن الكريم، وعبد الرحمن بن غنم الأنصاري الذي لقب بشيخ فلسطين، وشداد بن أوس الذي دعي " فقيه الأمة " ووصف " بالبيان إذا نطق " .

واحتمل القرآن الكريم والحديث الشريف، وما يرتبط بهما من تفسير وفقه أبرز المواضيع ثم الأخبار والسيرة . وكانت " الحلق " و " القصص " من طرق التعلم . ويبرز أبو الدرداء في المجال الأول، وأبو ريحانة في المجال الثاني وهو يهودي أسلم مما يشير إلى التأثير بالإسرائيليات التي تحاط بالشكوك وعدم المصادقية .

وتعكس العمارة الإسلامية في بيت المقدس صورة أخرى من صور التعريب والأسلمة في المدينة . وتمثل قبة الصخرة المكانة الأولى في هذا المجال حيث تعكس تجدد ذكرى الإسراء والمعراج في نفوس المسلمين وما يترتب عليهما من ارتباط روحي بالمدينة المقدسة بصورة عامة، إضافة إلى أنها تحمل دلالات دينية عميقة في الفكر الإسلامي، وتؤكد على الحوار الإسلامي - المسيحي . ثم تأتي دار

من نماذج التربية السياسية الدعوة

إلى الوحدة بين الإمارات الإسلامية

في عهد الأيوبيين لإنقاذ القدس

محمود تيسير الشخشير

أستاذ مساعد - كلية التربية - جامعة النجاح الوطنية

الدعوة إلى الوحدة بين الإمارات الإسلامية

مقدمة :

بدأ الغزو الفرنجي (الصليبي) ذو الطابع الاستيطاني للمشرق الإسلامي، في سنة تسعين وأربعمئة للهجرة، فظهر عند أسلافنا من شعراء هذه الفترة، في مصر والشام، شعر يقاوم هذا الغزو الإرهابي.

ومن أشهر من دعا إلى الوحدة بين الإمارات الإسلامية، الشاعر محمد بن نصر بن صغير القيسراني الذي عاش ما بين عامي ٤٧٨ هـ و ٥٤٨ هـ، وعاصر شاعرنا المجاهد نور الدين محمود حاكم حلب والمتوفى سنة تسع وستين وخمسائة، والشاعر أسامة بن منقذ الذي واكب الملك الصالح بن رزيك الأرمني الذي تولى وزارة مصر سنة ٥٤٩ هـ وهي السنة الأولى التي تولى فيها الفائز الفاطمي الخلافة، وبقي طول عهد الفائز، إلى سنة ٥٥٥ هـ وأوائل عهد العاضد، في الوزارة، حتى اغتيل في دهليز القصر سنة ٥٥٦ هـ، وكان للطلائع نشاط حربي كبير في الشام ضد الفرنج ومحاولات للتحالف مع نور الدين محمود ضد من استقر منهم بأرض الشام وفلسطين .

لقد كانت البلاد الإسلامية مفرقة مفككة، حطم العدو إماراتها واحدة بعد واحدة، وطمع في أن يستولي على هذه الرقعة من أرض الإسلام الممتدة من مصر إلى الشام، فتأثر الأدب في هذه الفترة بذلك، وامتاز الشعر بالحماسة المتدفقة للدعوة إلى وحدة الإمارات الإسلامية، كما امتاز بحرارة العاطفة التي تدل على ما كان يعمل

الإمارة التي كشف عنها مع قصرين أمويين آخرين جنوبي الحرم وغربيه . وهذا إشارات واضحة إلى اهتمام أموي بترميم أسوار المدينة وبناء ثلاثة أبواب في سر الحرم وبناء بعض القباب ودرج البراق وحماماً، إضافة إلى بعض الآبار . وأخيراً، فقد اكتملت عملية التعريب والأسلمة في عهد عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٤ - ٧٠٥ م في استخدام العربية محل اليونانية في الدواوين وإصدار أول نقد إسلامي خالص عام ٧٧ هـ / ٧٠٦ م عن دار السكة في إيلياء / بيت المقدس، مدينتنا التي ضربت على النقود لأول مرة في عهد المأمون باسم القدس (الطهارة والنقاء) .

في نفوس الشعراء من ألم شديد لاغتصاب الأراضي الإسلامية، ولما أصاب أهل من تشريد، وذبح، وتقتيل.

وتدلنا الإشارات الشعرية على أن سكان مصر والشام ومن صلح من حكام لم يغفلوا بمرور الزمن ومع طول مدة الاحتلال الفرنجي الذي استمر مئتي ع عن نصرة أهل المناطق المحتلة ومحاولة استرداد هذه المناطق، فاستجرت الإمارات الإسلامية بعضها ببعض الآخر، وأمعن الشعراء في الحث على الداء لوحدة هذه الإمارات، فاستخدموا في سبيل هذا الغرض الولاء للدين الإسلامي، روى صاحب النجوم الزاهرة، أن الفرنج بعد أن شددوا الحصار على بيت المقد سنة ٤٩٢ للهجرة، حيث حاصروها نيفا وأربعين يوماً، استولوا عليها وأكثر القتل، حتى أنهم قتلوا في المسجد الأقصى ما يزيد عن سبعين ألفاً، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم .

فخرج جماعة من دمشق مع قاضيتها، زين الدين أبي سعيد الهروي، فوصل إلى بغداد، وحضروا في الديوان، وقطعوا شعورهم، واستغاثوا، وبكوا، وقاض في الديوان، وأورد كلاماً أبكى الحاضرين في الحث على الوحدة لنص إخوانهم في الشام، وأنشأ قصيدة مؤثرة أولها:

مزجنا دماء بالدموع السواجم
وكيف تنام العين ملء جفونها
وإخوانكم بالشام يضحي مقلهم
وكاد لهن المستجن بطيبة
وليتهن إذ لم يذودوا حمية
وإذا زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى
فلم يبق منا عرضة للمراج
على هفوات أيقظت كل ناء
ظهور المزاكبي أو بطون القشاء
ينادي بأعلى صوته : يا آل هاشم
عن الدين ضنوا غيرة للمحار
فهلاً أتوه رغبة في الغنا

ففي هذه الأبيات دعوة عميقة للوحدة والذود عن حرمة الإسلام.

أحل الكفر بالإسلام ضيماً
فحق ضائع وحمى مباح
وكم من مسلم أمسى سليباً
وكم من مسجد جعلوه ديراً
أمور لو تأملهن طفل
أتسبى المسلمات بكل ثغر
أما لله والإسلام حق
فقل لذوي الأبصار حيث كانوا
يطول عليه للدين النحيب
وسيف قاطع، ودم صبيب
ومسلمة لها حرم سليب
على محرابه نصب الصليب
لطفل من عوارضه المشيب
وعيش المسلمين إذا يطيب
يدافع عنه شبان وشيب
أجيبوا الله ويحكم أجيبوا

جهود الحكام من أجل الوحدة في الفترة ما بين : ٥٥٩ - ٥٧٣ هـ

وتعد مرحلة حوادث ما بين سنتي ٥٥٩ هـ و ٥٧٣ للهجرة، أحسم مرحلة في تطور حركة اليقظة الإسلامية، ودعوة الناس والحكام وسعيهم لتوحيد إماراتهم، تلك الحركة التي أعقبت مجئ القوات الفرنجية إلى هذا الجزء من العالم الإسلامي، وإقامتها في القلب منه في شكل حكومات مستقرة، في غفلة من خلافة العباسيين ببغداد، وحكومة الفاطميين بالقاهرة .

وبسبب تفكك هذا العالم إلى دويلات وإمارات متنازعة، والشعب الإسلامي هو الذي اصطلى بلظى الحكم الفرنجي الدخيل، وإن الأمراء المسلمين المحليين أسهموا عندئذ بتنازعهم وتفرقهم، في تأكيد استقرار هؤلاء المتحكمين.

ونستشف من خلال الحوادث، وما قيل فيها من شعر، أن الرأي العام والأمة الإسلامية تطلعت إلى قيادة حكيمة تتجه بالأمة والحكومة إلى تجميع القوى ومناشدة الوحدة لاستعادة السيطرة على الأجزاء السليبية من الوطن ولرد كيد الفرنج، فناشد الشعراء توحيد هذه الإمارات ونظموا قصائد كثيرة أشادوا فيها بجهود نور الدين محمود في هذا المضمار وبجهود صلاح الدين، ومن تبعهم وسار على هديهم من أجل تحقيق الوحدة الإسلامية.

فهياً الله سبحانه وتعالى - لهذه الأمة قادة شيدوا صرح الإسلام من جديد
فالتف الناس حولهم، وكان من أبرزهم عماد الدين زنكي الذي استطاع أن يخلع
إمارة (الرها) سنة ٥٣٥هـ. من أيدي الفرنج، و يوحد معظم أرض الجزيرة
الفراتية والشام، في ظل حكومة واحدة، يتولى زعامتها وتدين بالولاء لخلفاء
العباسيين .

ثم جاء نور الدين محمود، المجاهد المخلص، ووجه ضربة سريعة إلى
الفرنجي، استعاد فيها الرها، حيث احتلها الفرنج مرة أخرى عقب وفاة عماد الدين
ويعبر ابن القيسراني عن إيمانه بقوة السلاح سبيلاً لاستخلاص الأرض من الغزاة
حين هنا بقصيدة له الوزير جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي الأصبهاني بفتح
الرها الثاني على يد نور الدين عام ٥٤١هـ، وذلك حين يقول :

إلى كم يغب ملوك الضلال سيف بأغباقها كامل
فلا تحفلن بصول الذئاب وقد زار الأسود الباسل
هو السيف، إلا تكن حاملاً لبزته بزك الحامل

وفي نفس الوقت أعرض نور الدين محمود عن استرداد مدينة بعلبك من
أيدي حكام دمشق الذين اغتتموا وفاة عماد الدين فرصة ليقطعوا لأنفسهم بضعة من
تركته الضخمة يضيفونها إلى ممتلكاتهم المتفرقة.

وكان نور الدين قادراً على معاملة الدمشقيين بمثل ما عامل به الفرنجة
ولكنه تسامح معهم رغبة منه بإيثار التفاهم مع دمشق حتى يتمكن من مواجهة العدو
الحقيقي له ولدمشق، وكان نتيجة هذا العمل أن فتحت دمشق أبوابها مرحبة بدخول
نور الدين إليها، مخلصاً عام ٥٤٩ للهجرة .

فحين تقرر الصلح ما بين نور الدين وحاكم ودمشق مجير الدين سنة ٥٤٥
للهجرة، رأى ابن القيسراني في التقاء دمشق وحلب، سبيلاً إلى استنقاذ القدس
وجمعاً لقوى الإسلام على الهدى والصلاح، فما هو يثني على نور الدين :

لك الله إن حاربت فالنصر والفتح
وهل أنت إلا السيف في كل حالة
وقد علم الأعداء ضربت جانحاً
إذا ما دمشق ملكتك عنانها
متى التف نفع الجفلين على الهدى
إذا سار نور الدين في الجيش غازياً
تركت قلوب الشرك تشكو جراحها
صبرت، فكان الصبر خير مغبة

وإن شئت صلحاً، عد من حزبك الصلح
فطوراً له حد وطوراً له صفح
إلى السلم ما تنوي بذاك وما تنحو
تيقن من في إيليا أنه الذبح
فلا مهمة يحوي الضلال ولا سفح
فقولاً لليل الإفك قد طلع الصبح
فلا زالت الشكوى ولا اندمل الجرح
فسيق إليك الملك يسعى به النجح

واستمر جهاد نور الدين محمود وتتابع خطواته في طريق الحفاظ على
ثمرات الجهاد الشعبي الموحد حتى كانت سنة ٥٥٩ للهجرة، وهذه السنة بداية
مرحلة جديدة في تطور اليقظة من أجل الوحدة بين الإمارات، بل كانت بداية
الجهود التي بلغت بهذه الحركة ذروتها بتجميع قوى مصر والشام في جبهة متحدة
متساندة تجمعها كلمة الإسلام لمواجهة الفرنج.

وبدأت هذه المحاولة في عام ٥٥٩ للهجرة، وتحققت في سنة ٥٦٤، بوزارة
يوسف صلاح الدين، قائد في مصر والشام، وتمت في نهاية خلافة الفاطميين منذ
سنة ٥٦٧ للهجرة .

وفي ذلك يذكر العماد قصيدة يمدح بها نور الدين بملك مصر سنة ٥٦٤هـ،
منها:

بملك مصر أهني ممالك الأمم فاسعد وابشر بنصر الله عن أمم
أضحى بعدك شمل الملك ملتئماً وهل بعدك شئ غير ملتئم

وقال العماد يمدح صلاح الدين:

يا صلاح الدين الذي أصلح الفنا سد بالعدل من خطوب الزمان
أنت أجريت نيل مصر إلى الشا م نوالاً، أم سأل نيل ثاني

وكانت وفاة نور الدين بعد ذلك بنحو سنتين خطراً هدد هذه الوحدة إذ خلف طفل صغير، تنازعت مطامع بعض القادة والأوصياء، تلك المطامع التي هددت الجبهة المتحدة في كيائها، وأوشكت أن تعزل الشام عن مصر، وأن تعود بالجزير الفراتية وبالشام إلى مثل ما كانت عليه، قبيل عهد نور الدين وعماد الدين، من فوضى فرقت كيائها، ولولا أن صلاح الدين صاحب مصر بذل جهده للحصول على وحدة الإمارات والإبقاء عليها، لعادت كما كانت. واعتمدت هذه الجهود على تأييد الناس في مصر والشام، ولقيت ترحيباً من كثير من رجالات الشام، وكان ترحيب دمشق بصلاح الدين في أوائل سنة ٥٧٠ للهجرة، شبيهاً بترحيبها بنور الدين عام ٥٤٩ للهجرة، وهلل الشعراء في هذه الفترة وأشادوا بصلاح الدين الذي جمع إليه دمشق وحمص وحماة وحلب، فقال أسامة بن منقذ مهنئاً صلاح الدين عند حصوله على دمشق عام ٥٧٠ للهجرة :

تَهَنّ يا أطول الملوك يداً في بسط عدل ووسطوة وندى
فسر إلى الشام فالملائكة أبرار تلقاك جمعهم مدداً

فصدقت دعوة شعراء الإسلام في سبيل وحدة الإمارات الإسلامية بالاعتصام بحبل الله سبحانه والاقتراء برسوله صلى الله عليه وسلم، فتم للأمة عنصر القوة فأنقذت القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

الزوايا في القدس

غسان محييش

باحث - مركز إحياء التراث - القدس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياته إنه هو السميع البصير"

صدق الله العظيم

أرض فلسطين أرض الإسراء والمعراج ومهبط الديانات السماوية الثلاث ومهوى أفئدة كافة الموحدين بالله عز وجل.

وقل أن نجد فيها رقعة صغيرة دون أثر لنبي أو رسول أو لولي أو لمكان مقدس . فأرض فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة زخرت بمعالمها الإسلامية منذ بزوغ فجر الإسلام على هذه الأرض الطهور، حيث نجد العديد من الخلفاء والسلاطين والأمراء وعامة البشر قد أخذوا يتنافسون فيما بينهم لعمل الخير اقتداءً بقوله ، صلى الله عليه وسلم ، " إذ مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم نافع أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية " . وقوله ، صلى الله عليه وسلم ، حاثاً الناس على زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه " ومن لم يستطع فِعل ذلك فعليه إرسال زيت ليُسرج فيه " .

لهذا نجدهم قد تنافسوا فيما بينهم لإنشاء المساجد والمدارس والخوانق والزوايا والربط وغيرها من أعمال البر ابتغاءاً للأجر والثواب من الله ، عز وجل ، وللتسهيل على المتبركين والنساک المتعبدين من الصوفية وغيرهم، مشاق السفر، وتوفير كل أسباب الراحة لهم.

* يدور موضوع هذا البحث حول زوايا مدينة القدس، حيث كان الترتيب واضحاً على هذه المدينة المقدسة أكثر من غيرها من مدن فلسطين ولا غرابة في ذلك كونها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، لهذا فقد عمل الخيرون من الأمة الكريمة أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، على إنشاء الزوايا في مدينة القدس سواء كان ذلك داخل سور المدينة أو خارجه، فجميع أرض بيت المقدس لها القداسة نفسها، وذلك لنيل الأجر والثواب من الله، عز وجل، حيث تعددت الزوايا للتسهيل على القادمين من بلاد إفريقيا والهند وبخارى وأفغانستان وغيرها من البلاد الإسلامية.

ومنذ أن تم إنشاء هذه الزوايا أخذت تؤدي رسالتها على خير وجه إلى عانت هذه البلاد من تقطع للأوصال تارة ووقوعها في قبضة المحتل الغاصب تارة أخرى مما حال دون توافر العائدات الوقفية خاصة، التي كان ريعها يغطي نفقات ومستلزمات تلك الزوايا، وخير دليل على ذلك زاوية المغاربة .

* وأما كلمة زاوية فتعني : نوع من الأبنية الدينية لا مئذنة لها ولا منارة تضم ميضأة، وغالباً ما تخصص ضريح مؤسسها، أو أحد أولياء الله الصالحين وتقام فيها الصلوات الخمس ما عدا صلاة الجمعة والعيدين، وتصميمها أقرب إلى مخطط المدرسة ذات الأيوانات منه إلى المسجد، وهي كالحانقاه للمقيمين والوافدين وهي مخصصة لاستقبال المتصرفين المتنقلين عبر البلاد من زاوية إلى أخرى وراء المعرفة ورغبة في العطاء، ومكان لايواء الغرباء والفقراء والمتعبدية وإطعام الطعام للفقراء، وصرف رواتب للقائمين على الزوايا، وتخصيص محتاجه الزاوية من مال لنفقتها وتعميرها لبقاء عينها وزيت يسرج في قناديل وصابون للتنظيف وخلافه مما تحتاج إليه الزاوية، كانت هناك زوايا مخصصة للنساء وللرجال العزاب والأرامل، وأخرى للمتزوجين، وكان الأمراء في بعض أشكال خاص يتنافسون في بنائها والإنفاق عليها.

أما زوايا بيت المقدس فهي كثيرة العدد وبعضها معلوم والبعض الآخر مجهول لم يتم التعرف عليها ...

* أما ما تم معرفته فهو على النمط التالي :

(١) الزاوية النصيرية ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م : تعرف بالمدرسة النصيرية نسبة إلى مؤسسها الشيخ نصر المقدسي وسماها مجير الدين في " الأنس الجليل الحنبلي " النصيرية " تعرف أيضاً بالزاوية النصيرية وكان موقعها على برج الرحمة من أبراج سور الحرم الشرقي، اندثرت تماماً قبل وفاة مجير الدين .

(٢) الزاوية الخنثية ٥٨٥هـ / ١١٨٩م : وهي مدرسة وزاوية سماها مجير الدين الزاوية الخنثية نسبة إلى الشيخ الخنثي الذي كان شيخاً لهذه الزاوية في القرن الثامن الهجري .

وتقع الزاوية خارج السور الجنوبي للمسجد الأقصى وخلف منبر نور الدين، ولها باب بجوار المنبر . وطرأت عليها تغيرات وإضافات كثيرة، كان من بينها غرف مستجده، وأخيراً دورة مياه، غير أنها احتفظت ببعض بقاياها القديمة من عقود وشبابيك إلى الآن، ويعتقد الاستاذ حسن عبد الوهاب العالم الأثري أن المدرسة الخنثية بنيت فوق باب قديم من أبواب الحرم وهو الباب المعروف باسم باب النبي فحجبت بذلك الباب وشوهته لأنها قائمة في وجهه. ووقف هذه السلطان صلاح الدين الأيوبي (الزاوية ، المدرسة) على رجل من أهل الصلاح هو الشيخ العابد المجاهد جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد الشاشي ومن بعده على من يحذو حذوه، وتاريخ وقفها ١٨ ربيع الأول سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١، لم تسلم هذه الزاوية وكغيرها من المباني الإسلامية من عمليات الحفر أسفلها حين حفر من أسفلها نفق طويل.

(٣) الزاوية الجراحية : تقع بحي الشيخ جراح خارج سور المدينة، واقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي أحد أمراء الدين الأيوبي، وجعل لها وقف ووظائف مرتبة، وفي الزاوية مسجد يعرف بجامع الشيخ جراح بني في عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م وقبر واقفها .

٤) زاوية الدركاه : كانت تقع في منطقة الدباغة حيث كان يقوم البيمارستان الصلاحي، وكانت في زمن الإفرنج دار الإِسْتِثَار وهي من بناء هيلانه أم قسطنطين، ولها منارة هُدمَ بعضها وكان ينزل نواب القدس فيها، أوقفها الملك المظفر شهاب الدين غازي بن السلطان العادل أبي بكر بن أيوب عام ٦١٣هـ / ١٢١٦ م . وأن قسماً من هذه الزاوية دخل في كنيسة الدباغة (الألمان) والباقي خراب.

٥) زاوية الشيخ بدر الدين : أنشأها السيد بدر الدين بن محمد بن يوسف بن بدرار الذي ينسب إلى السيد أبي الوفا محمد من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب توفي في سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م ودفن بزاويته بوادي النسور، ويوجد في هذه الزاوية أضرحه الشيخ بدر وآل بيته وجماعة من الصالحين.

٦) زاوية شرفات : تقع هذه الزاوية في قرية شرفات وقد بناها داود بن عبد الحافظ المتوفى سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م، وخلفه في مشيخة الزاوية ابنه وذريته من بعده وكانوا من الأولياء، أصحاب الكرامات، ويوجد في ضريح شرفات حواله أربعين منهم، وقد وقف الأمير نائب الشام عليهم قرية شرفات.

٧) الزاوية الوفاية : تقع بباب الناظر تجاه المدرسة المنجية دائرة الأوقاف البو كانت تعرف قديماً بدار معاوية لأن معاوية بن أبي سفيان سكن فيها كما يقا عند زيارته لبيت المقدس . وعرفت أيضاً باسم دار ابن الهائم، وفيما بعد عرفت الدار بدار أبي الوفاء، وفي القرن الثاني عشر اشترى دار الزاوية الوفاية وسكنها الصوفي الكبير مصطفى البكري ١٠٩٩-١١٦٢ هـ / ١٩٨٧-١٧٤٨م، زعماء الصوفية الخلوتية، ثم سكنها من بعده من أعيان الخلوتية : الشيخ محمد بدير - من أجداد العائلة البديرية - الذي كان يعرف بابن حبيش ١١٦٠-١٢٢٠ هـ / ١٧٤٧-١٨٠٥م وتعرف الزاوية اليوم باسم دار البدير - التي يسكنونها اليوم - وبها ضريح الشيخ محمد بدير، وقد وضعت فيها الكا ومخطوطات آل البديري، وفيها ضريح يقال أنه ضريح فاطمة بنت معاوية .

٨) زاوية الشيخ خضر : بناها الظاهر بيبرس للشيخ خضر العدوي المهر الكركي حوالي ٦٦٠هـ / ١٢٦١م .

٩) زاوية المغاربة : تقع بحارة المغاربة بالقدس، وهي وقف الشيخ عمر بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرى، عهد وقفها عام ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م . وللزاوية عدة أوقاف، وفي أعقاب حرب عام ١٩٦٧م وما نتج عنها سقوط المدينة المقدسة بكاملها في قبضة الاحتلال، شرعت قوات الاحتلال بهدم عدة عقارات وقفية في حارة المغاربة وإزالة معالم الحارة بأكملها ومن ضمنها الزاوية المذكورة.

١٠) زاوية أبي مدين الغوث : (أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي) صوفي أندلسي مشهور، زار مكة وبيت المقدس، تقع هذه الزاوية في حارة المغاربة في عقبة أبي مدين، أنشأها أبو مدين شعيب بن محمد سنة ٧٢٠هـ وتنسب إلى جده الصوفي الأندلسي المجاهد أبي مدين الغوث شعيب بن الحسن.

أوقف هذا الحي الملك الأفضل ابن صلاح الدين على طائفة المغاربة، وأوقفت عقارات هذا الحي على هذه الزاوية، وتتألف الزاوية من طابقين، في الطابق العلوي منها قبر لأحد الأولياء، وفيها مسجد . وللزاوية عدة أوقاف مسجلة في سجلات المحكمة الشرعية في القدس وفي استانبول، بتركيا . وبعد احتلال المدينة المقدسة هدمت قوات الاحتلال عدة عقارات وقفية موقوفة على الزاوية.

١١) الزاوية الأمينية ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م : تقع هذه الزاوية في باب العتم (باب فيصل) شمال الحرم أوقفها صاحب أمين الدين عبد الله في سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م، ويتكون بناؤها من طابقين . تقع الزاوية في الطابق الأرضي أما الطابق العلوي فقد بُني جزء منه فوق رواق الحرم وجزء آخر فوق باب العتم والمدرسة اليوم عامرة يسكنها آل .. " الإمام "، أما الطابق الأرضي الذي كان يضم المدرسة فيحوي قبور جماعة من آل .. " الإمام " .

١٢) الزاوية المهمازية : تقع هذه الزاوية غربي المدرسة المعظمية قريباً من باب العتم، وتنسب للشيخ كمال الدين المهمازي، أوقف عليها الملك الصالح إسماعيل ابن الناصر محمد ودن على المشايخ المقيمين بها، قرية بيت لقيا، من أعمال القدس، سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م، وهي اليوم من أوقاف آل " الجاعوني " ويسكنها جماعة من آل : " الدويك " .

(١٣) زاوية الأزرق : تقع جنوبي مدينة القدس، ويذكر العسلي استناداً إلى سجلات المحكمة الشرعية في القدس أن زاوية الأزرق كانت تقع في محلة الشرف وتتسب هذه الزاوية للشيخ إبراهيم الأزرق، وقد أنشئت حوالي سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، وكانت تعرف باسم زاوية السرائي، وبها قبور جماعة من المشايخ.

(١٤) الزاوية النقشبندية : وتعرف باسم الزاوية الأربكية أو البخارية تقع عند باب الغوانمة، بناها الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند البخاري في القرن الثامن الهجري، لإيواء الغرباء وإطعام الفقراء من مسلمي بخارى وجاوا وتركيا، وأعاد بناؤها عثمان بك البخاري المعروف بالصوفي سنة ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م وقد أضيف إليها بعض الغرف عندما تولاها الشيخ حسن الأربكي سنة ١١٤٤هـ / ١٧٣١م.

وللزاوية عدة أوقاف، وهي موجودة ومعروفة، ويسكنها أبناء الشيخ يعقوب البخاري.

(١٥) الزاوية المحمدية : تقع بباب الناظر بجوار المدرسة البارودية من الغرب وقفها محمد بن زكريا الناصري سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م .

(١٦) الزاوية الطواشية : تقع بحارة الشرف، واقفها الشيخ شمس الدين محمد بن جلال الدين عرب بن فخر الدين سنة ٧٥٣هـ / ١٣٣٤م.

(١٧) الزاوية الأدهمية : تقع خارج السور قرب باب الساهرة وهي عبارة عن كهف تعلوه مقبرة باب الساهرة، وهي زاوية قديمة للفقراء الأدهمية، أتباع الزاهد المجاهد إبراهيم بن أدهم، الذي كان من ثقات أتباع التابعين، كان أميراً ومزناً أبناء الملوك، فترك الإمارة، وقدم إلى بيت المقدس، ثم رابط في حصون عكا وعسقلان، ومات مجاهداً سنة ١٦١هـ/٧٧٧م، وقبره بمدينة حلب بالشام. عمّرها الأمير منجك نائب الشام حوالي سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م، ووقف عليه هو وغيره من أهل الخير عدة أوقاف، وفيها قبور جماعة من الصالحين.

(١٨) الزاوية الشيوخونية : تقع عند باب حطة قرب المدرسة الصلاحية، واقفها الأمير سيف الدين قطيشا بن علي بن محمد، وجعل النظر على الزاوية لنفسه ثم من بعده لابنه شيخون، فسميت بالشيوخونية نسبة لولد الواقف، وتاريخ وقفها سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م .

(١٩) الزاوية البسطامية : تقع في حارة بني زيد المجاورة لحارة باب حطة ولحارة المشاركة، واقفها الشيخ عبد الله بن خليل بن علي الأسد آبادي البسطامي، وكانت الزاوية موجودة قبل سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م وللزاوية عدة أوقاف مسجلة في سجلات محكمة القدس الشرعية.

(٢٠) الزاوية اللؤلؤية : تقع عند مدخل باب العامود، واقفها الأمير بدر الدين لؤلؤ غازي، عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسين ٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٢-١٣٧٦م وتعرف اليوم بجامع الشيخ لؤلؤ.

(٢١) زاوية القرمي : تقع بحارة الواد أسسها الشيخ الصالح شمس الدين أبو عبد الله محمد التركماني الأصل المعروف بالقرمي سنة ٧٢٠ - ٧٨٨هـ / ١٣٢٠ - ١٣٨٦م والزاوية موجودة ومعروفة اليوم، وفيها ضريح الشيخ القرمي، وقد عمرت دائرة الأوقاف الإسلامية غرفة الضريح والمسجد وجددتهما وفرشتهما.

وعلى بعد أمتار من الزاوية غرفة رمتها دائرة الأوقاف، قيل أنها كانت مكتبة الشيخ القرمي .

(٢٢) الزاوية اليونسية : تقع بباب الناظر، واقفها مجهول، وهي موجودة حتى الآن.

(٢٣) الزاوية القلندرية : تقع في وسط مقبرة ماملا، وأصلها كنيسة رومية تعرف بالدير الأحمر، وعندما قَدِمَ إلى القدس الشيخ إبراهيم القلندري وأقام فيها هو وجماعة من الفقراء نسبت إليه وسميت بالقلندرية . وكانت السيدة طنشق بنت عبد الله المظفرية تُحسِن إليه، فعمرت في الزاوية قبة محكمة البناء على الزاوية والحوش المحيط بها سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م، وفي عام ٨٩٣هـ/١٤٨٧م خربت، ولم تعمر بعد ذلك .

(٢٤) زاوية الهنود : تقع عند باب الساهره داخل السور، وهي قديمه، ولا يعرف تاريخ إنشائها، وكانت للفقراء الرفاعية في الأصل ثم نزلت بها طائفة الهنود وكان ذلك في أوائل القرن التاسع أو قبل ذلك فعرفت باسمهم، وفي القرن العاشر جددتها بابا فريد شكر كنج وأعاد بناءها، وهو من مسلمي الهند . وكر في الزاوية مسجد ولها أوقاف موقوفة عليها.

(٢٥) الزاوية المولوية : تقع بحارة السعدية (نسبة إلى قبيلة بني سعد) بالقدس وقد أنشأتها الدولة العثمانية لأتباع الطريقة المولوية التي كانت سلاطين بنو عثمان يؤيدونها، فانتشرت بسرعة، أنشأ الخانقاه المولوية قومندان القدس خداوندكار بك ٩٩٥هـ / ١٥٨٦م وهي مؤلفة من طابقين الطابق الأول كـ كنيسة للفرنجة، حولها الأتراك إلى مسجد ثم بنو فوقها طابقاً ثانياً ولا يزال بنا الخانقاه قائماً ولها أملاك وأوقاف.

(٢٦) الزاوية القادرية : وتعرف بإسم زاوية الأفغان لأن أكثر المنتمين إليها منهم تقع في حارة الواد قرب الزاوية النقشبندية إلى الجنوب الغربي، أنشئت للأفغان من أتباع الطريقة القادرية التي أسسها عبد القادر الجيلاني ٤٧٠ - ٥٦٠هـ ١٠٤٣هـ / ١٦٣٣م .

(٢٧) الزاوية المجيدية : تقع في حي النبي داود خارج السور، ويعتقد بأنها تنسب إلى السلطان العثماني عبد المجيد ١٢٥٥ - ١٢٧٧هـ / ١٨٣٩ - ١٨٦٠ وكانت مخصصة لإطعام الطعام للمسافرين وذلك بموجب براءة سلطان مؤرخة في ١٠/٩/١٣٣٠هـ/١٩١١م، وحالياً محتلة من قبل اليهود ولا يسه بزيارتها.

(٢٨) الزاوية الإبراهيمية : تقع قرب الزاوية المجيدية خارج السور شمال ضريح النبي داود بناها إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، وخصصها للفقراء ولتلا القرآن وكان إبراهيم باشا ينزل في هذه الزاوية كلما هبط القدس.

(٢٩) زاوية البلاسي : تقع جنوب القدس، وتنسب للشيخ أحمد البلاسي، وكان الصالحين، وقبره فيها.

(٣٠) زاوية الشيخ يعقوب العجمي : تقع عند قلعة القدس، أصلها كنيسة من بناء الروم حوّلت إلى زاوية وعُرفت زمن مجير الدين الحنبلي بزاوية الشيخ شمس الدين البغدادي، ويعتقد أنها أنشئت في القرن السابع أو الثامن الهجري، ولها أوقاف موقوفة على الجامع .

(٣١) الزاوية البسطامية : تقع في ساحة الحرم من جهة الشرق أي تحت صحن الصخرة كان يجتمع فيها فقراء البسطامية لذكر الله تعالى.

(٣٢) الزاوية الصمادية : تقع بجوار البسطامية من جهة الشمال، وقد سد بابها كالبسطامية في المئة التاسعة.

(٣٣) الزاوية الحمراء : تقع بالقرب من الخانقاه الصلاحية وتنسب للفقراء الوفاييه، تستعمل حالياً سكناً لجماعة من آل " العلمي " .

(٣٤) الزاوية الرفاعية : زاوية أبي السعود، تقع بداخل ساحة الحرم تحت مئذنة باب الغوانمه، ويُعتقد أنها أنشئت في العهد العثماني، وخصصت لأولاد أبي السعود وذلك بموجب براءة سلطانية مؤرخة في ٩ رمضان ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م.

(٣٥) الزاوية القادرية : أنشأها محمد باشا محافظ القدس سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢م.

(٣٦) زاوية أبي قصبه : كانت تقع في محلة الشرف بالقدس .

(٣٧) زاوية الشيخ حيدر : تقع في حارة الشرف بالقدس، وتدعى أيضاً مزار الشيخ حيدر، وفيها قبره، والزاوية اليوم خراب بعدما كانت عامرة سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م .

(٣٨) زاوية المرجيع : وقف على فقراء الأحمدية المقيمين فيها كرم بأرض المرجيع بتمامه . وأرض المرجيع تقع في بركة سليمان في قرية أرطاس.

(٣٩) زاوية الظاهرية : كانت تقع في عقبة الظاهرية.

(٤٠) زاوية الأسعدية : تقع في الطور، وتشرف على الحرم الشريف، أنشأها أسعد أفندي التبريزي، مفتي الدولة العلية (العثمانية) أوقفها باسم الشيخ محمد العلمي المدفون فيها . وفي الزاوية جامع معمور ويقوم على أمرها اليوم جماعة من آل " العلمي " .

الطريقة النقشبندية

حسين أحمد الدراويش

أستاذ مساعد - جامعة القدس

هي إحدى الطرق الصوفية الوافدة على القدس، واسم الطريقة مركب من جزأين هما : " نقش : وهو صورة الطابع إذا طبع به على شمع أو نحوه، وبند : ومعناه : ربط وبقاء من غير محو" ^(١)

فالكلمة تشير إلى تأثير الذكر في القلب وانطباعه فيه، ونقشه، كما ينقش الختم على شمع أو حجر، أو نحوه، ويبقى ثابتاً بلا تغيير أو محو. وقد عرفت هذه الطريقة منذ نشأتها حتى الآن بعدة أسماء منها : الصديقية، والنقشبندية والخواجكانية، أي ذكر المشايخ " ومؤسس هذه الطريقة محمد بهاء الدين الملقب " بنقشبند " ^(٢)

* ومن مبادئ هذه الطريقة:

١. دوام الذكر.

٢. دوام المراقبة .

٣. دوام الرابطة بالشيخ .

وهذه الطريقة : هي طريقة العلماء الفحول العظام، فمنهم من فسر القرآن

العظيم مثل : محمد البهنسي . ^(٣)

وظهرت هذه الطريقة في القدس في القرن الثامن الهجري، وأسست زاوية لها قرب باب الغوانمة.

(٤١) زاوية الخانقاه الصلاحية : تقع في حارة النصارى، أسسها الملك العادل صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م، كانت قبل ذلك منزلاً لبطاري الروم الأرثوذكس وداراً للقسس، إلا أن أخذها منهم الافرنج، ولما استرد صلاح الدين القدس، أرجعها إلى أصحابها الأولين، كما أرجع لهم ممتلكاتهم الأخرى التي سلبها الافرنج منهم . ومنها دار البطريك، ورضي الروم أن يقتطع صلاح الدين من منزل القسس والبطاركة جانباً . فنزل فيه مدة إقامته بالقدس، ثم جعله جامعاً ورباطاً للعلماء الصوفية، وصارت في الإسلام داراً للمجاهدين.

وفي داخل الخانقاه جامع وله محراب، أنشأه عيسى بن أحمد العَلَمُ أيام مولانا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ٧٤١ هـ / ١٣٤٠م . وللجامع منذ أن أنشئت في زمن المماليك ٨٢٠ هـ / ١٤١٧م، على يد شيخ الخانقاه برهان الدين بن غانم.

وفي الختام فبيت المقدس أمانة في أعناقنا جميعاً، يجب العمل على صيانة معالمه الأثرية والمحافظة عليها من الاندثار والطمس الذي تتعرض له يومياً حتى تبقى شاهداً على ما شاده السلف وورثه للخلف، ولتبقى مصدر إشعاع وبيت علم ورباط إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

الزاوية النقشبندية في القدس

تقع هذه الزاوية في " حارة الواد، بالقرب من باب الغوانمة بالقرب من زاوية الحرم الشريف الشمالية الغربية على بضعة أمتار من باب الغوانمة " (١).

ولقد نقش على واجهة الزاوية نقش في الحجر هذا نصه : " أمر بإنشاء هذه القبة اللطيفة عين الأعيان العظام، جناب الحاج مصطفى زاده، قيم القدس الشريف على قبر الشيخ محمد الأربكي الصالح شيخ الزاوية النقشبندية، قدس الله سره، العزيز - رحمه الله تعالى - سنة ١١٤٤ هـ " (٢).

ويُفهم من النقش أن الزاوية قد أنشئت قبل هذا التاريخ، وفي أواخر القرن الماضي كان يتولى مشيخة الزاوية رشيد البخاري الذي جاء إلى البلاد لاجئاً سياسياً، وقد قتل سنة ١٩١٩ في مسجد يافا . وخلفه في مشيخة الزاوية ابنه يعقوب البخاري وهو آخر شيوخها وتوفي سنة ١٩٥٦ م . وفي الزاوية ضريح المرحوم محمد الأربكي، والشيخ يعقوب البخاري، وولده موسى يعقوب البخاري المتوفى سنة ١٩٧٣ م (٣).

وتبرز أهمية الزاوية من عدة جوانب منها:

الأول : كونها خط الدفاع الأول عن المسجد الأقصى من الجهة الشمالية الغربية وقد أقيمت على الأراضي التي كانت " تخص بني غنيم " (٤) في عهد صلاح الدين.

الثاني : إن هذه الزاوية فيها مكتبة قيمة، فيها من أمهات الكتب الإسلامية في علوم القرآن الكريم، والحديث الشريف والفقه، والتصوف، وعلوم اللغة العربية والتاريخ والسيرة والأدب..... إلخ . وفيها كتب ومصادر باللغة البخارية منها " تفسير القرآن الكريم، وفتاوى باللغة البخارية " . وفيها مخطوطات نفيسة في أذكار الطريقة النقشبندية وفي الأدب والفقه. وقد تبعثت كتب هذه الزاوية، ولا زال جزء نفيس منها ينتظر التصنيف والتحقيق.

وكنزها الأعظم من الكتب تلك الكتب التي سطرت باللغة البخارية فهم بأمس الحاجة إلى الترجمة إلى اللغة العربية ليستفيد منها الناس.

خصائص المدينة الإسلامية في القدس

جهاد عوض

أستاذ مساعد - قسم الهندسة - جامعة النجاح الوطنية

تعد هذه المقالة جزءاً من دراسة واسعة، تهدف إلى البحث في مدينة القدس، وصولاً إلى الخصائص المشتركة بين المدن الإسلامية، من الناحية العمرانية والتخطيطية. وفي البداية لا بد من الإشارة إلى بعض النقاط التي تحدد مجال هذه الدراسة :

- إن القدس موضع هذه الدراسة هي المدينة التي بدأت تتبلور معالمها بعد الفتح الإسلامي، والتي حافظت على نسيجها وبنيتها التقليدية قرون عديدة، قبل أن يطرأ تغيير واضح على هذا النسيج في قرننا هذا، بخاصة في أثناء فترة الاحتلال الاسرائيلي.
- إن نشأة القدس وتخطيطها، والوضع الذي كانت عليه قبل الفتح الإسلامي، لا يدخل في إطار هذه الدراسة.
- إن مسألة البحث في أصول وجذور بعض الخصائص التي سيتم التطرق لها (سواء في القدس أو غيرها من المدن الإسلامية) ومحاولة البعض ربطها بحضارات سابقة، تعد خارج نطاق هذه الدراسة.

من الملفت للانتباه، في مجال الدراسات والبحوث المتعلقة بالمدن الإسلامية، محاولة بعض الكتاب (بقصد أو عن غير قصد) تجنب الحديث عن القدس وعدم تصنيفها في عداد المدن التي تتوافر فيها الخصائص المشتركة بين المدن الإسلامية، رغم وجود هذه الخصائص في مدينة القدس بشكل واضح.

ولتحديد الخصائص العامة التي تشترك فيها المدن الإسلامية، تم الاعتماد في هذه الدراسة بشكل رئيسي ومتعمد، على البحوث والدراسات التي قام بها باحثون وكتاب أجانب في هذا المجال، (مع ضرورة عدم التقليل من شأن وأهمية

الدراسات التي قام ويقوم بها باحثون عرب ومسلمون)، والسبب الرئيس في ذلك هو حساسية هذا الموضوع بالنسبة لبعض الكتاب الأجانب، خاصة عندما يتعلق الأمر بتأثير الإسلام، ودوره في إنتاج هذه الخصائص أو بعضها.

لقد زاد اهتمام الباحثين من مختلف التخصصات (مستشرقين، جغرافيين، علماء اجتماع، و معماريين، ومخططين) بموضوع "المدينة الإسلامية" بشكل واضح منذ منتصف هذا القرن، وما يزال حتى الآن موضع بحث . كذلك ما يزال الاختلاف بالرأي والتعدد في وجهات النظر في هذا الموضوع قائماً، والسبب الرئيس في ذلك اختلاف التخصصات من ناحية، وتعدد الغايات من ناحية أخرى . فمنهم من يرفض استخدام مصطلح " المدينة الإسلامية " ويبدل الجهد في البحث عن تسميات يراها أكثر صواباً أو دقة . ومنهم من يهتم بالبحث عن الصفات التي تميزت بها المدن الإسلامية، والتعمق في دراسة الأسباب والعوامل التي أفرزتها، ومنهم من لا يدخر جهداً في محاولة إثبات أن المسلمين لم يأتوا بجديد في هذا المضمار، وأن الصفات التي تتميز بها مدنها تعود في معظمها إلى الحضارات السابقة للإسلام .

إلا أنه بالرغم من الاختلاف في الآراء، يكاد يكون هناك شبه إجماع بين معظم الكتاب على أن المدن الإسلامية لها طابع خاص يميزها عن المدن الأخرى وعلى أنه بالرغم من وجود التنوع وخصوصية كل مدينة، إلا أن هناك صفات وخصائص مشتركة بين هذه المدن على امتداد العالم الإسلامي، يراها المرء بوضوح في مدن المغرب، مروراً بالقدس، وحتى مدن أفغانستان .

وبعد دراسة الصفات التي يكاد يجمع عليها معظم الباحثين، ومحاولات وضع تصور نموذجي يظهر تركيبية ومكونات المدينة الإسلامية، فإنه يمكن تلخيص عناصر وخصائص المدينة الإسلامية على النحو التالي :

أولاً : جميع المدن الإسلامية، باستثناء بعض الحالات، اشتملت على العناصر التالية :

- الأسوار التي تحيط بالمدينة.
- الجامع الرئيس، ويقع في مركز المدينة، إضافة إلى المساجد المنتشرة في باقي أجزاء المدينة.

- الأسواق أو البازارات المغطاة، حول الجامع وعلى الطرق الرئيسية الواصلة بين بوابات المدينة.
- الخانات والوكالات، والتي كانت تستعمل لنزول التجار من خارج المدينة، أو لتجارة الجملة، أو لبيع نوع معين من البضائع.
- المدارس، وكانت غالباً مرتبطة بالمساجد .
- الحمامات العامة، وقد وجدت بالقرب من المنطقة المركزية وفي مراكز الأحياء السكنية، قريبة من مسجد الحي.
- الأسبلة (جمع سبيل)، والتي كانت تنتشر على جوانب الطرق .
- القلعة، محاذية لسور المدينة (إلا أن هذا العنصر لم يتواجد في كل المدن الإسلامية) .
- دار الإمارة، وكانت تقع غالباً قرب الجامع، وأحياناً في القلعة (إن وجدت) .

جميع هذه العناصر وجدت في مدينة القدس، باستثناء أن الجامع الرئيسي هنا (المسجد الأقصى) لا يقع في وسط المدينة، نظراً لوضعه الخاص . إذ لم يتم اختيار موقع المسجد الأقصى، كونه بالأصل مكاناً مقدساً للمسلمين قبل الفتح العمري للقدس، وذلك لارتباطه بحادثة الإسراء والمعراج .

ثانياً : أما أهم الخصائص المشتركة بين المدن الإسلامية، فيمكن تلخيصها على النحو التالي :

- 1- تلاصق الأبنية وتراصها، مكونة بذلك نسيجاً عمرانياً متصلاً، وكان المدينة كلها عبارة عن مبنى واحد تتخلله شرايين الحركة . ويحاول الباحثون تفسير ذلك وإعادته لعدة عوامل (دينية، اجتماعية، بيئية أو مناخية) . وقد أمكن تحقيق ذلك اتباع الأسلوب الخلوي في بناء المساكن، فالبيت الواحد كان بمثابة خلية تتصل من عدة جهات بباقي الخلايا (البيوت) وتتجه بنفس الوقت نحو الداخل على فناء مكشوف، والذي يمثل نواة هذه الخلية . وقد جاء هذا النمط من المباني ذات الأفنية

مناسباً لطبيعة المناخ، إذ يعمل الفناء المكشوف كمنظم للحرارة، يبيت في الشتاء دافئاً وفي الصيف بارداً، ويشكل مصدراً للضوء والتهوية للغرف التي تلتف حوله . كذلك فإن الفناء يوفر الخصوصية التامة لأهل البيت، وإمكانية الفصل بينهم وبين العالم الخارجي . الخصوصية النابعة من التعاليم الدينية كان لها تأثير ليس فقط على من الداخل، بل حتى على الفراغات الخارجية والواجهات المطلية الطريق، فتوجيه الغرف على الفناء الداخلي يتيح إمكانية إلغاء التخلي عن النوافذ في الدور الأرضي على الأقل، وذلك لتجنب المارة في الطريق على ما في داخل البيت، أو أن تكون الفتحة صغيرة وأعلى من مستوى نظر المارة، أما في الأدوار العلوية فقد اللجوء لفكرة المشربيات على النوافذ، هذا يوفر إمكانية النظر إلى البيت من الداخل على الطريق، دون أن يكشف المارة ما خلف المشربية.

إن في استخدام المشربية الحل الأمثل ليس فقط لتوفير الخصوصية وإنما أيضاً للتخفيف من حدة أشعة الشمس والإبقاء على تيار الهواء . كل هذه العوامل ساهمت في إيجاد طابع معين للفراغات والواجهات الخارجية، يعطي إحساساً بالانغلاق في الخارج والانفتاح على الداخل ويذهب بعضهم في تفسير النسيج المتصل، على أنه نابع من فكر البنيان المرصوص "، والتي تعكس تماسك المجتمع وقوة الروابط والعلاقات الاجتماعية . وقد كان لفكرة تعزيز الروابط الاجتماعية هاماً، ليس فقط في تراص الأبنية، بل أيضاً في تركيبة وتوزيع الأبنية السكنية .

٢- التجمعات السكنية حسب القبيلة، العرق، أو الدين . والسبب في ذلك هو الترابط الاجتماعي بين أفراد القبيلة الواحدة، أو الذين لهم أصل مشترك وروابط خاصة (كالدین، واللغة، أو الموطن الأصل المشترك) . وقد وجد في معظم المدن الإسلامية، كما في القدس، أم خاصة بالنصارى وأخرى باليهود . ويعتقد أن هذا كان بناء على رغبة

متبادلة يحكمها مبدأ التسامح الديني والاحترام المتبادل لمعتقدات كل طائفة، وضماناً لحرية ممارسة الشعائر الدينية . فقد كانت هذه الأحياء تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي، لكل حي بوابة وخدمات خاصة به . وهكذا فإن الفصل بين الأحياء في المدن الإسلامية لم يكن وفق العامل الطبقي، أي لم تكن هناك أحياء للأغنياء وأخرى للفقراء .

٣- ضيق الشوارع وتعرجها . فقد اقتصرَت الطرق الواسعة والمستقيمة نسبياً على منطقة الأسواق، حيث ازدحام الحركة في مركز المدينة . أما في الأحياء السكنية فقد كانت الشوارع ضيقة لعدة أسباب، كانت الطرق مخصصة في الأساس للمشاة وليس للمركبات، فقد كان المقياس الإنساني هو المعيار . كذلك فإن ضيق الشوارع يوفر الظل للمارة معظم أوقات النهار، إضافة إلى أن بعض أجزاء من الشوارع كانت مغطاة لتوفير الظل والحماية من المطر، كما أن فكرة الجلوس على جوانب الطريق غير محبذة في المجتمع الإسلامي، بخاصة في المناطق السكنية، وبالتالي فإن الزيادة في عرض الطريق لم يكن لها حاجة .

أما تعرج الطرق بشكل واضح في الأحياء السكنية، وعدم نفاذ بعضها (أي زقاق مغلق)، فهناك تفسيرات وأسباب عديدة لذلك . أحد هذه الأسباب هو أن الطريق كانت عبارة عن الفراغ المتبقي بين الأبنية، فقد كان على الأغلب الاهتمام بإقامة البناء أولاً ثم الطريق، وليس العكس . كذلك فإن تعرج الطرق وعدم نفاذ بعضها يسهل عملية مقاومة الغزاة في حالة التعرض لاعتداء . ويضيف بعض الباحثين أسباباً أخرى لهذا التعرج، مثل تلافي إمكانية كشف جميع المارة في الطريق، وعدم تشجيع الغرباء على الدخول إلى هذه المنطقة السكنية دون هدف، وهذا يدل على وجود فكرة التدرج في مفهوم الفراغات والانتقال بالتدرج من الفراغ العام إلى شبه العام ثم شبه الخاص حتى يصل إلى مداخل البيوت الخاصة، وهذا يؤكد على الاهتمام بتوفير أقصى درجة من الخصوصية مما يقتضي الفصل التام بين المباني العامة (التجارية) والمباني والأحياء السكنية.

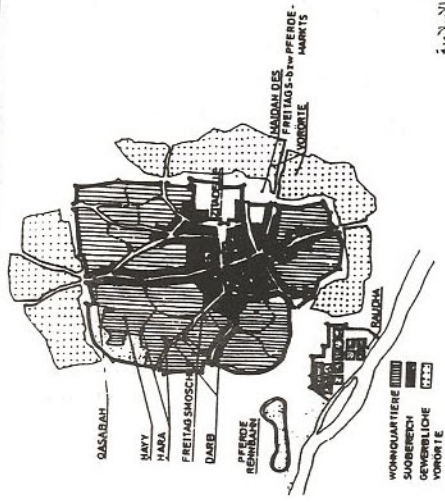
المصورات

٤- تجمع الأسواق (البازارات) المغطاة في مركز المدينة حول الجامع وعلى امتداد الطرق المؤدية للبوابات . إذ يعد البازار أحد أهم العناصر المميزة في المدن الإسلامية، ويجمع عليه تقريباً جميع الباحثين في هذا المجال، ويذهب بعضهم إلى حد القول إن البازار ربما هو الشيء الوحيد الذي يمكن اعتباره من ابتكار المسلمين .

من الميزات الهامة للأسواق الإسلامية تخصصها، إذ كانت تتجمع المحلات التي تبيع البضاعة نفسها، أو أصحاب المهنة الواحدة في أسواق خاصة بهم مثل : سوق العطارين، سوق القطنين، سوق الذهب، سوق الأحذية، سوق الحدادين، ... الخ . وكان موقع كل سوق بالنسبة للجامع (قربه أو بعده عنه) يتحدد وفق طبيعة البضاعة أو المهنة . فقد كانت البضائع أو المهن التي تسبب إزعاجاً للناس (سواء نتيجة الصوت أو الرائحة) تخصص لها أماكن بعيدة عن الجامع والأحياء السكنية (غالباً في طرف السوق وبالقرب من مداخل المدينة) . وقد كان لهذا النظام في تخصص الأسواق مزايا عدة، تتيح للمتسوق إمكانية المقارنة بسهولة في السعر والجودة .

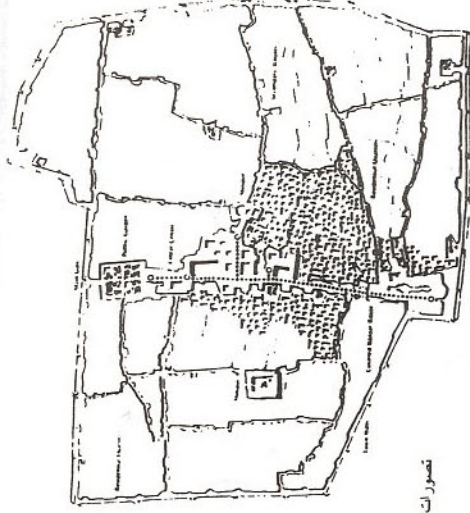
وقد كانت مسألة تنظيم أمور السوق ومراقبة الجودة والمكاييل والأسعار والنظافة والضرائب من مهام المحتسب، إضافة إلى أمور أخرى مثل الإشراف على تنظيم البناء ونظافة الطرق وإنارتها، أي أن المحتسب كان يقوم بمهام البلدية حالياً فيما يتعلق بإدارة المدينة وتنظيم أمورها . وما تزال بعض الأسواق في القدس تحتفظ بأسمائها التي تدل على نوع البضائع أو السلع التي كانت تباع فيها .

وهكذا فإن مدينة القدس تعكس نموذج المدينة الإسلامية بمجمل عناصرها وخصائصها التي ما تزال ظاهرة بوضوح حتى يومنا هذا، والتي تقتضي بذل كافة الجهود للمحافظة على بنيتها، وطابعها المتميز، قبل أن يطالها أي تغيير أو تزوير .

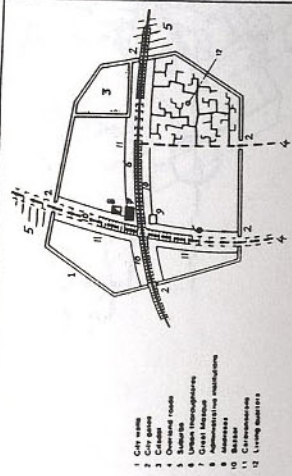


DIE TYPISCHE STRUKTUR DER MITTELALTERLICHEN ISLAMISCHEN STADT (Isma'il)

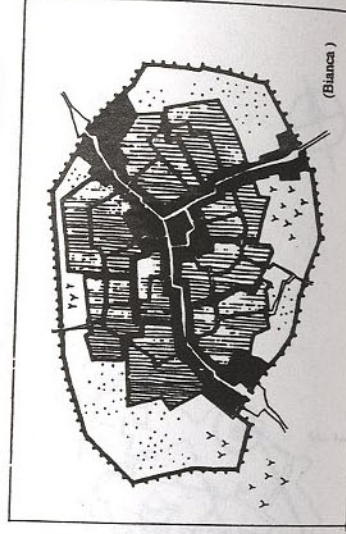
تصورات النموذج المدينة الإسلامية



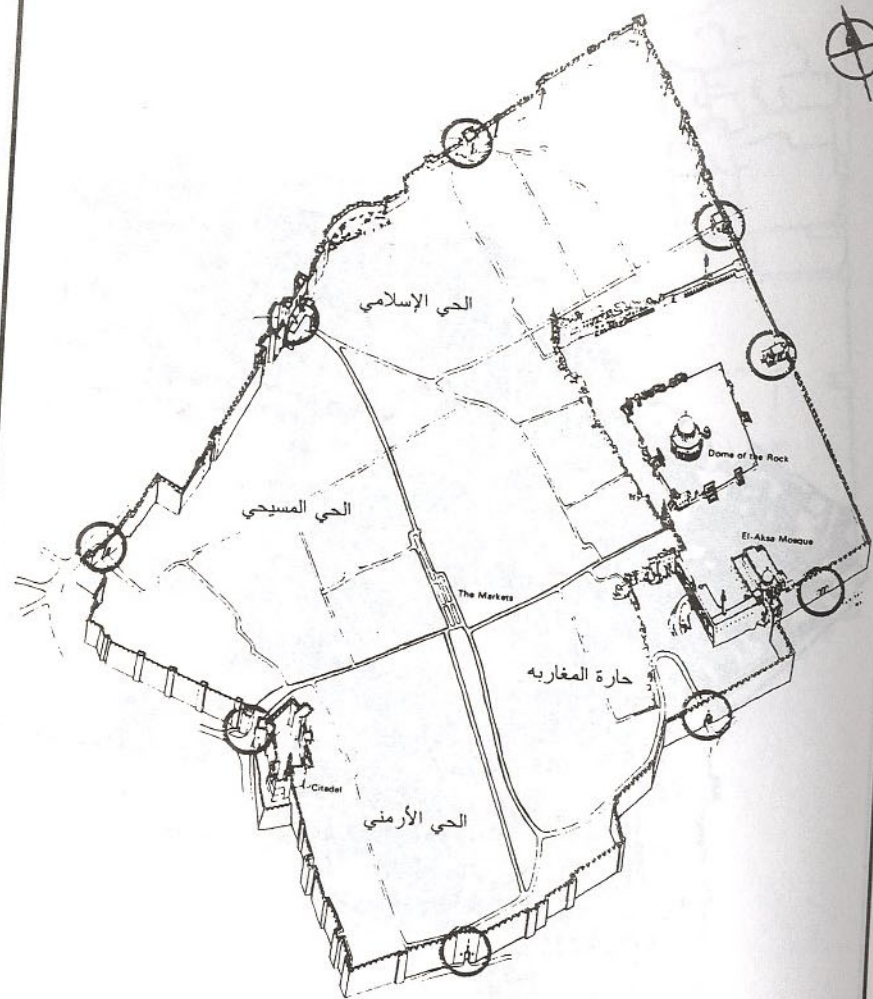
Urban Texture: Typical Traditional Islamic Town (Roberts)



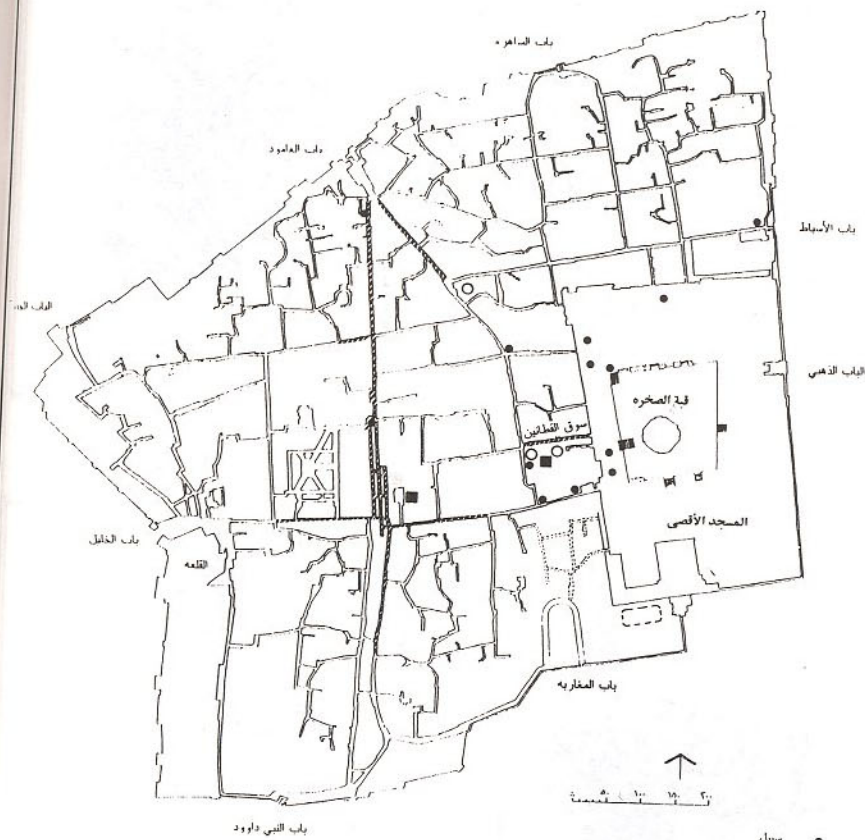
The main elements of the Islamic city (Gaubert)



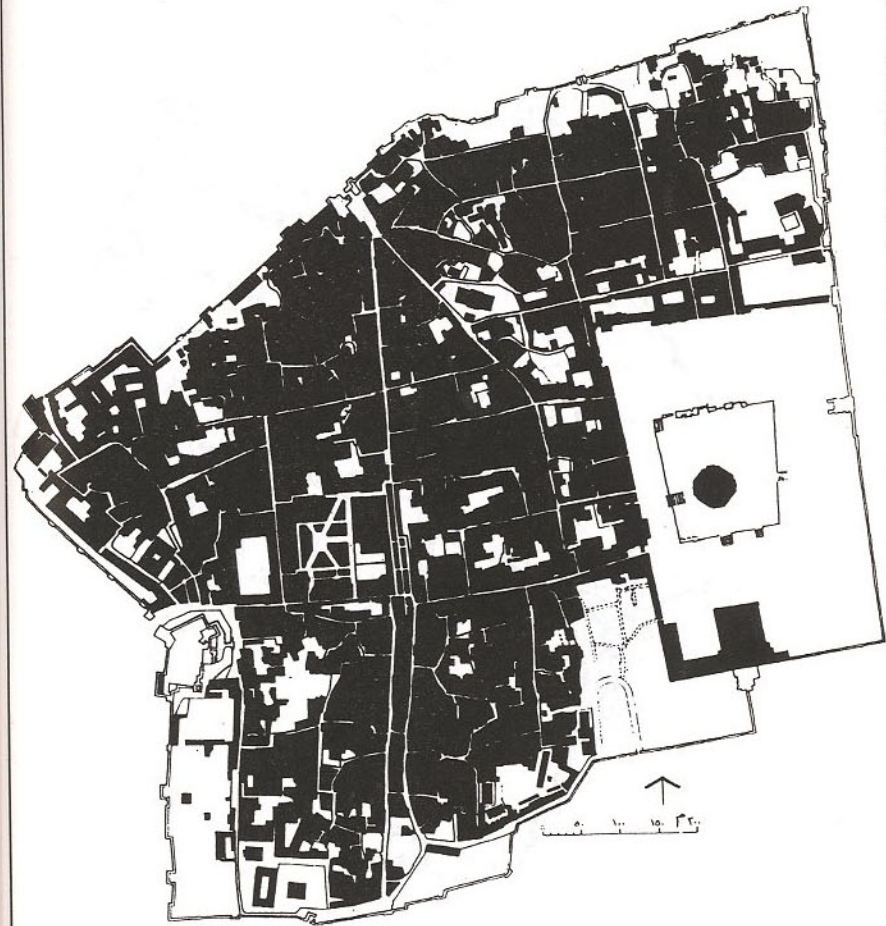
(Blanca)



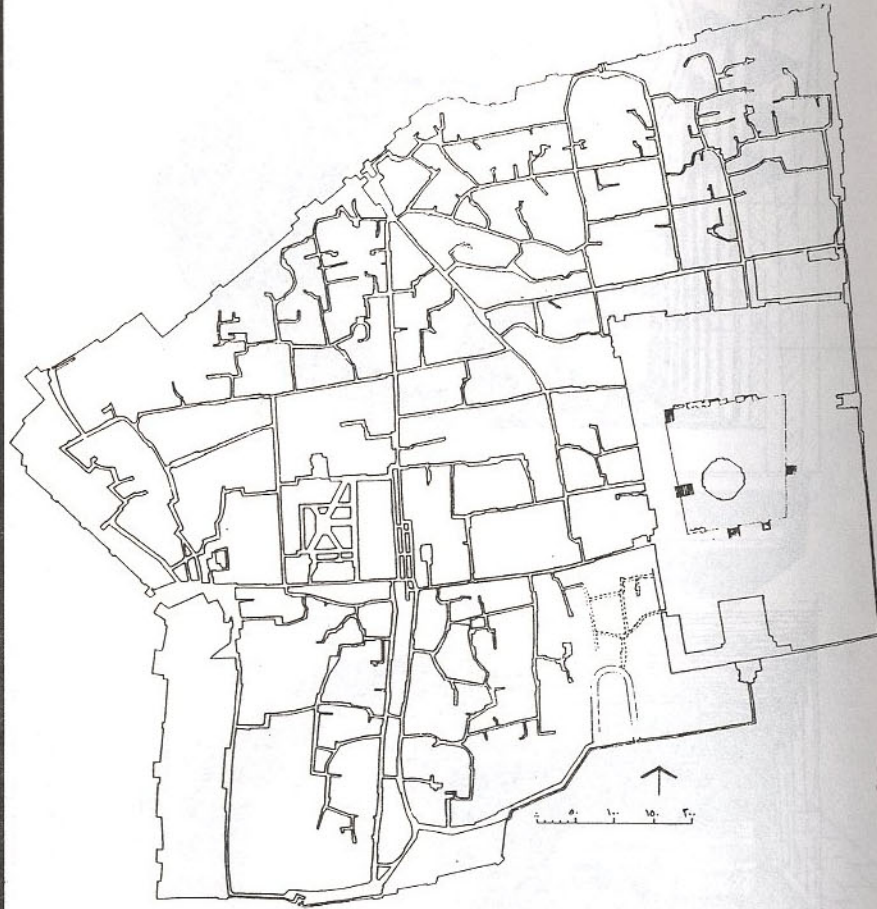
سور المدينة القديمة



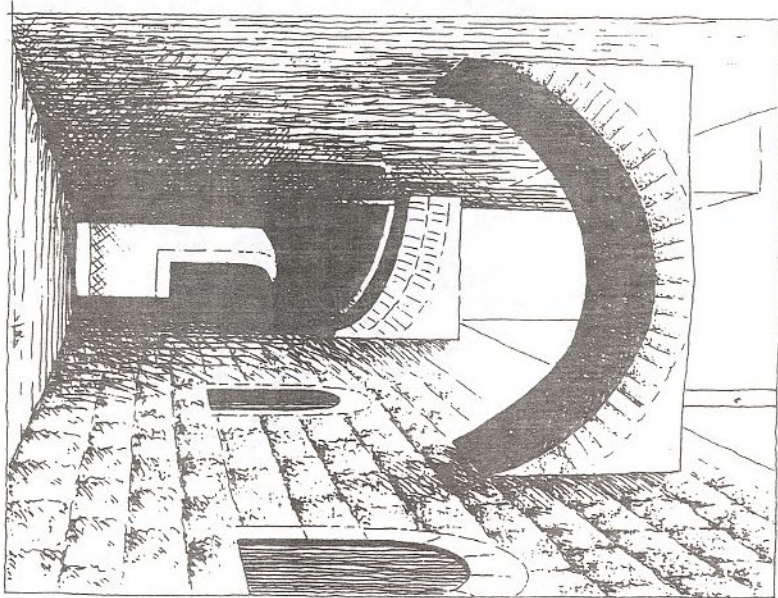
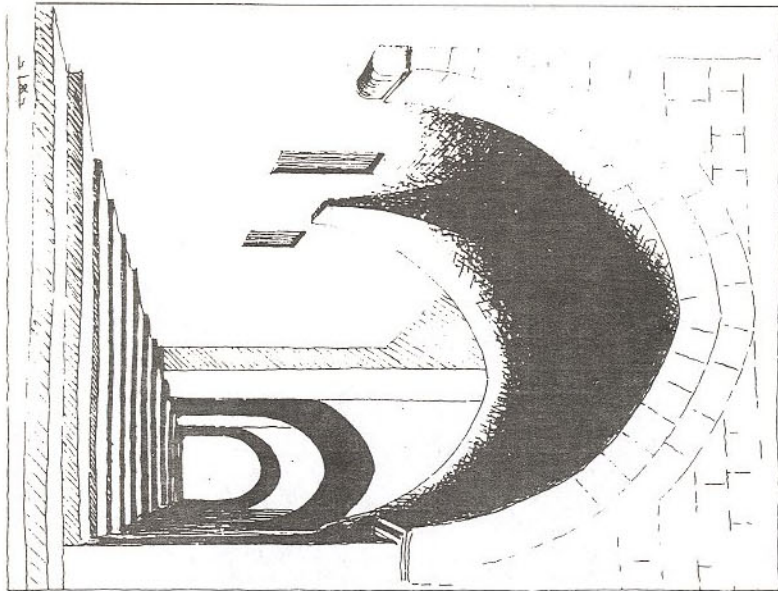
مخطط يظهر عناصر المدينة (التي تم التطرق إليها)



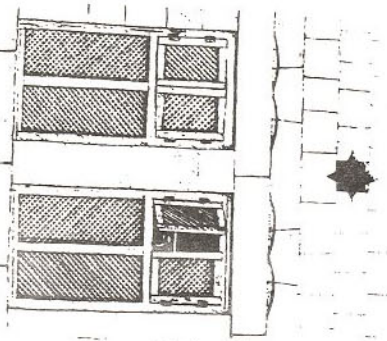
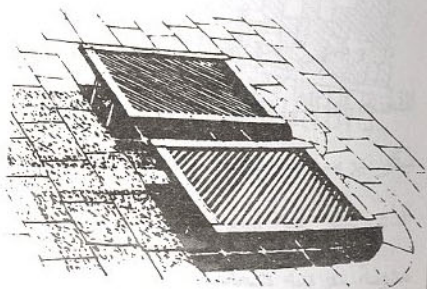
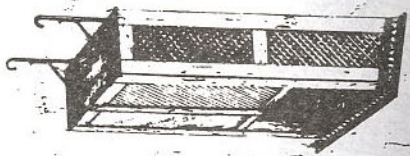
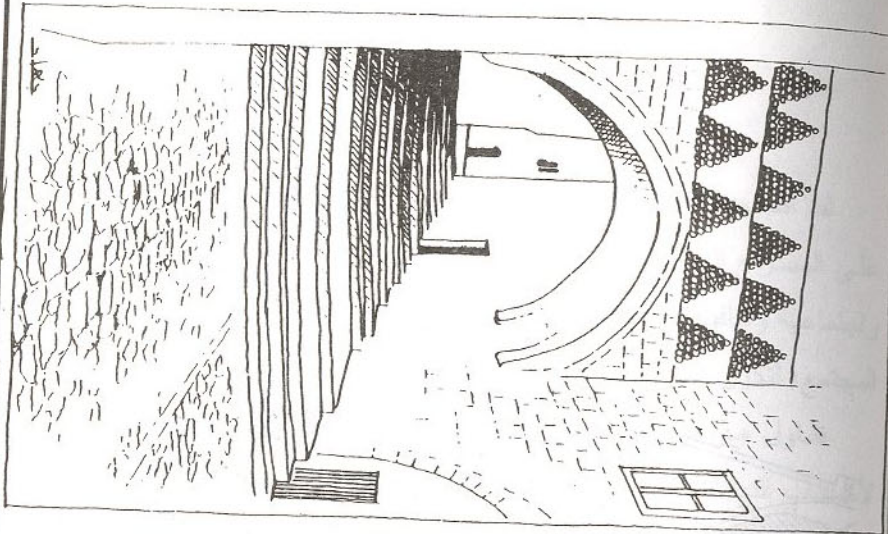
مخطط بنية المدينة القديمة



شبكة الطرق والشوارع



الطريق في القدس القديمة



عائد أحمد صلاح الدين

باحث - مركز إحياء التراث - القدس

لقد أصبحت السياحة بتطورها المستمر والمتزايد إحدى أهم السمات الرئيسية على المسرح الدولي، وتشير التنبؤات إلى أن السياحة (كظاهرة اقتصادية واجتماعية وثقافية) ستكون من القدرة بحيث تمارس تأثيراً حافلاً على مستقبل المجتمع، لتكون أهم نشاط اقتصادي وتصديري في العالم.

تناول هذا البحث مدينة القدس السياحية، لما تتمتع به من مكانة دينية لأصحاب الديانات السماوية الثلاث، ولأنها تعد مدينة (مقبرة الحضارات) لتعاقب معظم الحضارات عليها، وهي تاريخية قديمة، إذ يقدر علماء الآثار أن تاريخها يرجع إلى حوالي ٥ آلاف سنة، علماً بأن الباحثين الأثريين لم يعثروا على أدلة ثابتة من الألف الثالث قبل الميلاد، باستثناء بعض الأواني الخزفية التي ترجع إلى العصر البرونزي الأول (٣٠٠٠ ق.م) . وأول ذكر لمدينة القدس عُثر عليه في وثائق تل مريدخ في شمال سوريا على الألواح من الآجر بالخط المسماري وبلغت سامية .

وظهر اسم أورسالم لأول مرة في مجموعة الألواح التي عرفت بـ (نصوص اللعنة)، التي عُثر عليها في مصر، ويعد الاسم عمورياً من حيث الأصل . وأول ذكر يرسم سالم في الكتاب المقدس، نجده في سفر التكوين ١٤ : ١٨ في الموضع الذي ذكر فيه اسم ملكي صادق ملك سالم . ومن الثابت تاريخياً أن القدس هي مدينة عربية كنعانية، أطلق عليها اسم يبوس، وفي الوقت الحاضر أصبح اسمها القدس .



إحدى الحارات في الحي الإسلامي (القدس)
" كنوز القدس "

وقد تكون مجتمع الدراسة من مختلف جنسيات السياح، والزوار الذين وفدوا إلى مدينة القدس لأغراض السياحة في الفترة بين ١٩٩٦/٩/١ - ١٩٩٦/١٢/٣١، ونسب توزيع السياح حسب جنسياتهم في الفترة نفسها، فكانت الدرجة الأولى من الأوروبيين ٤٥,٢٪ تليهم الجنسيات الأخرى .

وتعتمد منهجية الدراسة على تطبيق المنهج التاريخي، واتباع المنهج الوصفي في تحليل مقومات السياحة في مدينة القدس الشرقية .

أما مصادر البحث، فقد تم الاعتماد في جمع البيانات المتعلقة بهذا البحث على المصادر المكتبية، وتشمل التقارير والنشرات الصادرة من الوزارات، والدوائر والجهات الرسمية، مثل سلطة السياحة في مدينة بيت لحم . والمصادر الميدانية التي تتضمن اختيار العينات من السياح والزوار، وتصميم الاستبانة الخاصة بجمع البيانات المتعلقة بخصائص السياحة والآثار الاقتصادية على المدينة .

وتناولت الدراسة مقومات السياحة في المدينة المتمثلة في :

١- المقومات الطبيعية : وتشمل الموقع والموضع : تقع المدينة على خط عرض ٣١,٤° وعلى خط طول ٣٥,١٤° شرقاً وترتبط المدينة بين أهم المدن الفلسطينية، صفد، الناصرة، جنين، نابلس، رام الله، إضافة إلى قربها من بعض العواصم العربية . وتتميز مدينة القدس بموقعها الإستراتيجي إذ منحتها الطبيعة أقوى التحصينات لحماية نفسها من الغزو، فهي تقع على أرض مرتفعة محاطة من جميع أطرافها بأودية عميقة، ففي الشمال وادي الجوز، وفي الشرق وادي قدرون (جهنم)، وفي الجنوب وادي الربابة (هنوم)، وفي الغرب وادي الزبل . ومحيطها صخري، والأودية الثلاثة التي تحيط المدينة من جهاتها الشرقية والجنوبية والغربية، كانت تؤلف خطوطاً دفاعية طبيعية منذ أقدم الأزمان، وأما جهتها الشمالية والشمالية الغربية، فكانت مكشوفة ولهذا كانت معظم الجيوش الغازية تأتي منها.

٢- المساحة : قبل صدور قرار التقسيم كانت مساحتها ٢٠١٩٩ دونماً، منها ٨٦٨ دونماً في داخل الأسوار و ١٩,٣٣١ دونماً في المدينة الجديدة، وبعد قرار التقسيم عام ١٩٤٧م وسع الاستعمار المساحة فجعلها ١٧٥,٥٠٤ دونماً،

ووضعها تحت الإدارة الدولية . وبلغت مساحة القسم المحتل عام ١٩٦٧م ٣٨,١ كم، وأصبحت ١٠,٨ كم^٢ بعد عام ٦٧م بسبب الضم في ١٩٦٧/٦/٢٨ ثم أصبحت ١٠,٨,٣ كم^٢ في عام ١٩٨٣م .

٣- المناخ : تنتمي المدينة لمناخ إقليم البحر المتوسط، وتتأثر بالعامل الطبوغرافي، وبعامل القرب من البحر المتوسط . ومعدل الحرارة الشهري ما بين ٩,٧م° في كانون ثاني و ٢٥م° في شهر آب . وكمية الأمطار الهائلة على المدينة ٥٥١ ملم سنوياً .

أما فيما يتعلق بالمقومات الحضارية، فإن مدينة القدس تزخر بالمباني الأثرية الإسلامية النفيسة، ففيها المباني الأثرية، والمساجد، والمدارس، والزوايا، والتكايا، والترب، والتحصينات، ومن أهمها سور القدس الذي يبلغ محيطه ٤ كم، ومن أهم أبوابه : باب العامود، باب الساهرة، باب الأسباط، باب المغاربة، باب النبي داود، باب الخليل، والباب الجديد، والمسجد الأقصى المبارك، وقبة الصخرة المشرفة، وحائط البراق الشريف، الذي يعد من الأماكن الإسلامية المقدسة . وهناك كنيسة القيامة التي بنتها الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين (٣٣٥م) فوق (الجلجلة) وطريق الآلام .

وجاءت صياغة مشكلة الدراسة على النحو التالي : " ما هي خصائص سياح مدينة القدس ديموغرافياً واقتصادياً ؟ وما هي دوافع زيارتهم ؟ وما هي آراؤهم ومشكلاتهم التي يواجهونها خلال الزيارة ؟ "

واتضح من خلال الدراسة، أنه هناك تفاوتاً ملحوظاً في نسبة السياح الذين يزورون مدينة القدس حسب جنسياتهم، ففي حين نجد أن الأوروبيين يشكلون ٤٥,٣٪ من مجموع أفراد العينة، بسبب ارتباطاتهم القديمة بالمدينة، نجد أن الأمريكيين يشكلون ٢٦٪ .

و لوحظ بأن الخصائص الديموغرافية والاقتصادية متفاوتة عند جنسيات السياح الذين زاروا مدينة القدس، ويتضح من خلال متغير الجنس بأنه سيطرت نسبة الذكور على الإناث عند غالبية أفراد العينة، فشكل الذكور ٦٢,٣٪ والإناث ٣٧,٧٪، ويكاد يكون الأمر واحداً عند جميع جنسيات السياح.

وفيما يتعلق بالفئة العمرية يوجد تفاوت واضح عند جنسيات السياح المختلفة، وشكلت الفئة العمرية (٣٧ - ٦٠ عاماً) نسبة عالية (٤٢,٥ %) من مجموع أفراد العينة، يليها فئة الشباب (٢٠ - ٣٦ عاماً) بنسبة ٣٤,١ % . واتضح بأن هناك ارتفاعاً في نسبة الحاصلين على شهادات جامعية إذ بلغت نسبتهم ٤٨,٩ % يأتي بعدهم الحاصلون على الثانوية العامة بنسبة ٢٥,٣ % .

أما متغير المهنة، فأظهر اختلافاً واضحاً عند أفراد العينة، وتم تصنيف السياح حسب المهنة إلى ست فئات هي : الطلاب، رجال الأعمال، الصحفيون والمحامون، المهندسون والتكنولوجيون، الأطباء والمرضون، المتقاعدون . وأظهر متغير الدخل ارتفاع نسبة الذين يتراوح دخلهم بين ١٠ آلاف - ٢٠ ألف دولار، شكلوا ٣٦,٦ % من مجموع أفراد العينة، يليهم فئة الدخل المرتفع أكثر من ٣٠,٠٠٠ دولار بنسبة ٢٥,٧ % .

وفيما يتعلق بدوافع السياح، تبين أن العامل الديني احتل المرتبة الأولى بنسبة ٦٦,٣٥ %، يليه العامل التاريخي ٢٧,١ % وبقية العوامل الأخرى جاءت بنسب متفاوتة، ولكنها ليست بذات أهمية بالنسبة للعاملين الأوليين . وسجل العامل الديني لدى الأوروبيين ٧٧ % وعند العرب ٧٤,٧ %، ويلاحظ بأن العامل التاريخي، كان مؤثراً بنسبة أكبر عند الأمريكيين، بلغت ٤٦,١ % بسبب كثرة زياراتهم الأثرية لبيت المقدس .

أما معدل إقامة السياح في مدينة القدس فبلغ ٣-١ يوماً، وتعد هذه المدة قصيرة إذا ما قورنت بالمدة التي يقضيها السياح في مدينة القدس الغربية المجاورة لها، والتي تتراوح ما بين ٧-١٠ أيام، ويعود السبب، إلى أن غالبية السياح يأتون إلى المنطقة بوساطة مكاتب سياحية إسرائيلية، إضافة إلى توافر العديد من الخدمات السياحية الأفضل في القسم الغربي عنه في القسم الشرقي من المدينة .

أما فيما يتعلق بمصادر استقاء المعلومات عن مدينة القدس، فقد تبين أن عامل الأصدقاء والأقارب كان من أقوى وسائل استقاء المعلومات، إذ شكل ٣٥,٧ % من مجموع أفراد العينة، يليه عامل التعليم بنسبة ١٧,٢ %، والنشرات السياحية بنسبة ١٢,٩ % .

وفيما يتعلق باختلاف مصادر المعلومات عند جنسيات السياح المختلفة، تبين أن أقوى الوسائل المؤثرة عند الفلسطينيين، كان دور التعليم بنسبة ٣٤,٩ %، والعرب فقد ظهر دور الأصدقاء والأقارب بنسبة ٣٧,٤ %، أما الأوروبيون فقد تأثروا بالأصدقاء والأقارب بنسبة ٤٥,٨ % .

أحد الأهداف التي سعت إليها هذه الدراسة، هو توفير معلومات عن رأي السياح، وانطباعاتهم على أساس أن رأيهم يساعد في تقييم واقع مسيرة السياحة في مدينة القدس، وإبراز الجوانب السلبية والإيجابية فيها. وبعد أن تم تصنيف عينة الدراسة تبين أن معدل استجابة آراء أفراد العينة متفاوت بين السياح . وكانت آراء أفراد العينة قوية حيال معاملة سكان المدينة للسياح، وكانوا على جانب كبير من الرضى نتيجة لهذه المعاملة الحسنة التي كانوا يلاقونها من سكان المدينة بنسبة ٨٢ %، مع حصول السياح على معلومات وخرائط سياحية عن المكان السياحي بنسبة ٨١,٦ %، و مستوى الفنادق بنسبة ٨٠ %، والانطباعات الضعيفة كانت تتعلق بالدرجة الأولى بالنقص في مواقف السيارات، وبلغ هذا العامل نسبة ٥٥ %، وأبدى ٥٧,٢ % استياءهم من مستوى النظافة في مدينة القدس .

وفيما يتعلق بالمشاكل التي تواجه السياح في المدينة، فكانت مشكلة انعدام الأمن المشكلة الأولى بين المشاكل بنسبة ٣١,٨ % من مجموع أفراد العينة . ومشكلة تفاوت الأسعار للصناعات السياحية بنسبة ٢٥,٦ %، وكذلك مشكلة ارتفاع أجور الخدمات بنسبة ٢٣,٣ % من مجموع أفراد العينة، ومشكلة ارتفاع أسعار أجور المواصلات بنسبة ٢٠,٥ % من مجموع أفراد العينة .

أما المشاكل التي تعاني منها الصناعة السياحية في مدينة القدس فهي :

١- عدم توافر العدالة الكافية في توزيع الفرص من قبل المكاتب السياحية العربية للأدلاء العرب، وجلب هذه المكاتب السياحية أدلاء سياحة إسرائيليين، لاعتقاد المكتب السياحي العربي بأن الدليل الإسرائيلي أكثر معرفة وعلماً من الدليل العربي .

٢- الدعاية الإسرائيلية المضللة، مما يؤثر على السياحة في المدينة، ويؤدي إلى إقامة غالبية السياح في فنادق القدس الغربية .

من القرى المدمرة

دير أيوب

عباس نمر

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

الحمد لله الذي أبدلنا من عجزنا قدرة، ومن جهلنا علماً، وهياً لنا من أمرنا
رشداً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أيها الأخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إننا إذ نقف الآن بين
أيديكم لرغبة جامعة النجاح الوطنية، ليتنازعنا شعوران متناقضان:

أ- شعور الفخر والاعتزاز بمؤسساتنا الفلسطينية الرائدة التي ما برحت تنفث
تشجيعاً في أرواح الباحثين، وتقدر لهم جهودهم المضنية، وتحثهم على المزيد
من البذل والعطاء، خدمة لفلسطين العزيرة، لهذه الأرض الطيبة المقدسة التي
جبلت بدماء الأجداد والآباء من قبل، والأبناء والأحفاد من بعد، هذا شعورنا
الأول على منابر هذه الجامعة الوطنية الفلسطينية الخالدة .

ب- وأما شعورنا الآخر فهو الحزن الغاضب، والحنين اللاهب، والأسى الدائب،
لما أصاب بلادنا ومقدساتنا من ضنك العيش وعبث الاحتلال واستبدال
الملاحم، ملامح الوطن الرؤوم .

اليوم حصار، إغلاق، ظلم، شوارع التفافية، بناء وتوسيع للمستعمرات، سحب
للهويات، ومضايقات لأبناء القدس . أمس احتلال كامل لفلسطين ... أول أمس
تهجير ... تدمير ... رعب .

إن تدوين التاريخ بجهد الحاضر ما هو إلا محاولة ثقافية جادة لإحياء التراث
والتاريخ ومنعه من الاندثار . فمن الواجب علينا نحن أبناء هذا الوطن أن ندون
الحوادث كما حدثت، وأن نذكرها كما هي قبل أن ينسج عليها الدهر خيوط
النسيان.

٣- يلاحظ بأن مستوى الخدمة في القطاعات السياحية العربية بحاجة إلى رفع
مستواه الحالي، والاستفادة من تجربة الفنادق المجاورة للقدس العربية، من
حيث مستوى الخدمات ونوعيتها .

٤- الضرائب الباهظة التي تفرضها وزارة السياحة الإسرائيلية على الفنادق
العربية . ونتيجة لذلك تعاني الفنادق العربية من الإهمال، ومن منافسة مكاتب
السياحة في القدس الغربية، وبناءً على ذلك، يجب العمل على ما يلي :

١. وضع خطة من قبل جمعية الفنادق العربية، بالتعاون والتنسيق مع سلطة
السياحة الفلسطينية في مدينة بيت لحم، لإجراء مسح شامل لجميع المرافق
السياحية في مدينة القدس والعمل على تطوير هذه المرافق من خلال
تحسين البنية التحتية وشق الطرق، وتحسين واجهات الفنادق العربية،
وايجاد تنسيق بين رؤساء كل الفعاليات السياحية، وسلطة السياحة الفلسطينية
لدراسة المشاريع السياحية.

٢. فيما يتعلق بالتسويق السياحي الفعال، فإن وجود دائرة تخصصية في التنظيم
الهيكلي للدعاية والإعلام له أهمية في جذب المستهلك (الزائر)، ويجب أن
يكون هناك تنسيق بين الإعلام الحكومي ومساهمة الشركات والفنادق في
السياسة الإعلامية للتسويق السياحي .

٣. إضافة إلى ما تتمتع به مدينة القدس من أهمية دينية، وأولوية إدارية
سياسية، فمن المنتظر أن تكون مدينة القدس العاصمة السياحية للدولة
الفلسطينية القادمة، وانطلاقاً من هذه الأهمية يجب الاهتمام بالأمكان
والمواقع الدينية، ومنها المسجد الأقصى وقبة الصخرة وكنيسة القيامة .

وسوف أتحدث اليوم عن قرية هُجّر أصحابها عام (١٩٤٩م) بعد النكبة بعام في استجابة غير واعية لأوامر القائد الإنجليزي، قائد الجيش العربي آنذاك "غلوب".

كما شهد بذلك حينها الملازم الأول رفيفان خالد، وعكاش الزبن، ومحمد كساب، وجميعهم من الكتبية الثانية .

موقع القرية

دير أيوب قرية فلسطينية مدمرة تقع إلى الغرب من بيت المقدس وبانحراف قليل نحو الشمال، على بعد أربعة وعشرين كيلو متراً، وقد بقيت تابعة لقضاء القدس حتى عام ١٩٤٠م، ثم حولها الانتداب البريطاني إدارياً إلى الرملة، وفي عام ١٩٤٩م أصبحت تابعة لقضاء رام الله . وترتفع أعلى نقطة فيها عن سطح البحر (٣٠٠) متر تقريباً، ويحدها من الشمال يالو، ومن الجنوب بيت محسير، ومن الشرق ساريس، ومن الغرب عمواس والطررون . وإن وقوع دير أيوب على الطريق العام بين القدس ويافا جعلها تلعب دوراً هاماً ضد المحتلين . ومنها يتفرع جزء من الطريق العام في باب الواد ليصل إلى بيت محسير ثم بيت جبرين، وجزء من باب الواد فيالو نوبا ثم إلى رام الله .

بلغت مساحة القرية على خارطتي عام (١٩٣٤م، ١٩٤٨م) ستة آلاف وثمانية وعشرين (٦٠٢٨) دونماً ومساحة سطح القرية عام (١٩٣٦م) ستة وثلاثين دونماً .

سكان القرية وحمائلها

بلغ عدد سكان أهالي دير أيوب عام ١٥٩٦م (٩٤) نسمة موزعين على سبع عشرة عائلة وذلك حسب الأرشفة العثمانية، وبلغ عدد سكانها عام ١٩٢٢م (٢١٥) نسمة، وعام ١٩٣١م (٢٢١) نسمة ١١٤ من الذكور و ١٠٧ من الإناث، وكانوا جميعاً مسلمين، وبلغ عدد بيوتها ٦٦ بيتاً . أصبح عدد السكان عام ١٩٤٥م (٣٢٠) نسمة، وفي عام ١٩٤٨م زاد فأصبح (٣٨٠) نسمة موزعين على الحمائل التالية :

السيد، البياع، ذياب، الخطيب، جبر، حماد الترك، عمار، أبو دهاك، عزبه، حمودة، الرُب (بضم الراء)، بدوان، القيسي، حمدان ليقه، الشرباتي، الحتاوي، الديرباني، عرب الرماضين قطينه، طينه.

وكان يشرف على شؤون هذه الحمائل كبير الحمولة ثم مخاتير القرية ومنهم: المختار الأول علي محمد طينه الذي ظل مختاراً حتى عام ١٩٢٤م ثم استقال . والمختار الثاني سليم سالم طينه الذي ظل مختاراً حتى وفاته عام ١٩٣٠م ثم عين محمد سليمان طينه مختاراً أولاً، وألغيت وظيفة المختار الثاني عام ١٩٢٤م واستبدلت بلجنة من البلد، وفي عام ١٩٣١م أصبحت اللجنة في عهد مختارها الجديد مكونة من : حسين عبد العزيز، وعبد الله أحمد عمار، وعلي سليمان ذياب، وذيب محمد طينه، والحاج عبد الرحمن سليمان طينه .

المسجد وأملاك الأوقاف

بني المسجد قديماً وهو أقدم بنيان في القرية، وهو من المساجد العمرية التي بنيت في فلسطين وكان معلماً رئيسياً هاماً لأنه المدرسة الحقيقية حيث كان مقراً لحفظ القرآن الكريم وتدارس علومه إضافة لتعلم القراءة والكتابة والحساب . وفي عام ١٨٨١م كان الطابق الثاني من المسجد والمدرسة (الكتاب) ويتعلم فيه ثمانية صبيان ، وبقي التدريس في المسجد حتى بنيت المدرسة عام ١٩٤٧م وكان مسجد القرية هو المضافة وساحته ملتقى الجميع وخصوصاً في رمضان، لأن من عادة أهل القرية أن يفطروا في المسجد ويتسحروا أيضاً، وفي غير رمضان كان مأوى لعابري السبيل، وكان يوجد في المسجد مكتبة قيمة وخاصة للمخطوطات، وفي القرية أرض وقفية مساحتها (١٢) دونماً موقوفة على مقام السيد البدوي ومقام سيدنا أيوب عليه السلام .

تم بناء المدرسة عام ١٩٤٧م بمساهمة أهل القرية جميعاً، وقد بلغت تكاليف بنائها (١١٢٠) جنيهاً فلسطينياً وبلغ عدد طلاب المدرسة (٥١) طالباً وطالبة يعلمهم معلم واحد .

الحياة الإقتصادية

كانت قرية دير أيوب كغيرها من القرى الفلسطينية خصبة بمزروعاتها، ومساحة الأراضي المفلوحة والمشجرة فيها (٢٧٦٩) دونماً، وبلغت مساحة الأراضي التي تزرع بالري (١٦٠) دونماً، وبقية الأراضي (٣٠٩٩) دونماً، من الغابات والمراعي والطرق والوديان، ويبلغ مجموع مساحة القرية (٦٠٢٨) دونماً، لم يتسرب لليهود منها دونم واحد .

وقد اهتم أهل القرية بزراعة المحاصيل الشتوية مثل : القمح والشعير والكرسنة، والمحاصيل الصيفية مثل : الذرة والسمسم، وكان للمقاني دور هام في الزراعة فكانت تزرع بالخضروات من البندورة والفقوس والخيار والكوسا والقرع واليقطين، وذلك لوفرة المياه، واهتموا كذلك بالأشجار المثمرة لا سيما التين والزيتون واللوز والخوخ والعنب والرمان والصبر والتوت والخروب، وتكثر في القرية الأشجار الحرجية في الأحراش التابعة للقرية في رأس الحية والخبطة وجرابا وباب الواد .

ويوجد في القرية عيون وآبار وهي : بئر التينة، بئر القصب، بئر البساس، بئر فارس، بئر فلاح، عين الطرحة، عين البلد، عين العنيزية، بصة أبو توفيق، بصة المختار، بصة مدينة، وبصة خلة حديد .

واهتم أهل القرية بالثروة الحيوانية خاصة الأغنام والأبقار وكانوا يستخدمون الجمال والبغال والحمير كوسائل نقل ولحراثة الأرض، ولم يكن يخلو بيت واحد من هذه الحيوانات، واهتم أهل القرية بتربية الطيور الداجنة خاصة الدجاج والحمام، وكان لهم أيضاً اهتمام بتربية النحل .

واشتغل أهل القرية أيضاً في الوظائف الحكومية خاصة في دائرة الأشغال العامة والهواتف، وكان أول سائق مدحلة في فلسطين من قرية دير أيوب وهو

محمود مسلم، وكان عدد سائقي المداخل في القرية (٢٣) سائقاً، وبلغ عدد أهالي القرية الموظفين في الدوائر الحكومية (٦٥) موظفاً، وكان يوجد في القرية أربعة دكاكين صغيرة .

من التاريخ القديم

رغم البحث المتواصل ولقلة المصادر وندرة الوثائق فإنني لم أوفق في العثور على شيء من التاريخ القديم رغم وفرة الآثار في القرية وكثرة الخرب الرومانية مثل خربة النقيب والبدادين، فقد كانت القرية منذ أقدم العصور ذات أهمية تاريخية وعسكرية، ففي أرض القرية اقتتل الكنعانيون وبنو إسرائيل، وهنا اقتتل هؤلاء والفلسطينيون، وكانت الحرب بينهم سجالات، ومن هنا مر فراغنة مصر وقادة اليونان والرومان . وقد ورد ذلك في كتاب النكبة والفردوس المفقود لعارف العارف، رحمه الله.

ومع ذلك لم أجد في كتب الآثار عنها ما يستفاد منه، وكان يطلق على دير أيوب في عهد الرومان اسم (ابندو)، وسميت القرية دير أيوب بهذا الاسم أيام القائد صلاح الدين الأيوبي، وقد جاء أيضاً في الرواية الشفوية : أطلق عليها اسم (ديار أيوب) وهي من ضمن القرى التي كان ينزل فيها صلاح الدين الأيوبي إبان حروبه مع الفرنجة، وتشير بعض الكتب إلى أنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى مقام نبي الله أيوب، عليه السلام .

وكانت دير أيوب في عهد المماليك تابعة لغزة إدارياً، وهي من أعمال الرملة وكان القاضي سعد الدين بن شهاب الدين يملك قيراطين وثلاثي القيراط من الأرض في القرية، وكان رحمه الله من أئمة المسجد الأقصى، وفي عام ١٥٩٦م كانت مزدهرة بمزروعاتها وأشجارها المثمرة التي بلغ عددها (٥٤٢) شجرة . ورد ذلك في الوثائق العثمانية الموجودة في جمعية الدراسات العربية - القدس .

وفي عهد الحكم المصري تم تدمير القرية وقتل أهلها وتشريدهم، وذلك على يد إبراهيم باشا ١٨٣٤م، حيث ثار أهل فلسطين كلها على الحكم المصري، وكانت أكثر الخسائر فداحة للجيش المصري في منطقة باب الواد حيث وقف أبناء القرية في تلك المنطقة وهي : (دير أيوب، ساريس، اللطرون، عمواس، يالو، بيت

محسبر، بيت ثول) وبنو حسن وبنو مالك والمقدسيون وقفة رجل واحد وهزموا إبراهيم باشا مرتين، وفي المرة الثالثة بعث إبراهيم باشا إلى والده محمد علي باشا وإلى مصر طالباً الإمدادات لمحاربة (الأشقياء)، ثم بعث بسرايا للوقوف على الوضع في وادٍ على باب الواد فأدرك أن قوة الثوار عظيمة، وحاول عقد صفقة مع زعيم بني مالك في ذلك الوقت وهو إبراهيم أبو غوش لكنه فشل، فألقى القبض عليه وسجنه في عكا، وبعد سجنه عمل إبراهيم باشا على شراء ذمم بعض قادة الثوار وعلى رأسهم جبر أبو غوش أخو إبراهيم أبو غوش فعقد صفقة كان ملخصها :

" يعين جبر أبو غوش متصرفاً للواء القدس، وإخراج إبراهيم أبو غوش من السجن ومنح جبر أبو غوش ومن معه الأراضي التي نزع عنها أهلها، وبذلك أصبح جبر أبو غوش حليفاً لإبراهيم باشا الذي جاءته الإمدادات من مصر فانتصر على الثوار ودمر حصن اللطرون، كما دمر قرية دير أيوب وقسماً من قرية ساريس .

وقد سقط في الوقائع (٦٠٠-٧٠٠) ثائر كان معظمهم من قرية دير أيوب وأبناء عمومته في اللطرون، وبعد خروج إبراهيم باشا من المنطقة عاد إلى دير أيوب من بقي حياً من أهلها بعد عناء شديد مع آل أبو غوش .

وكان في القرية نقطة (مرتكز) ضريبية في باب الواد داخل حدود القرية، وكان مسؤولاً عنها الأتراك ١٨٩٥م، ثم عين أحد أبناء القرية وهو محمد جبر مسؤولاً عن النقطة .

عهد الانتداب والهجرة وما بعدها

في أوائل شهر كانون الأول عام ١٩١٧م نزع أهالي دير أيوب إلى قرية بيت ثول المجاورة أثر المعارك الدامية بين الجيش الإنجليزي والجيش العثماني التي وقعت فوق أراضي القرية المجاورة، وكان ضحيتها مئات من الطرفين . وفي يوم ١٨/١٢/١٩١٧م وصلت ثلاث فرق لمساعدة الجيش الإنجليزي الذي هزم في الأيام الأولى للمعركة وهي : الفرقتان رقم (٥٢،٧٥) والفرقة الأسترالية واستشهد من الجيش العثماني حوالي (٥٠٠) جندي وأسر مثل هذا العدد تقريباً، ثم رجع

أهالي دير أيوب إلى قريتهم بعد انتهاء المعارك . وفي عهد الانتداب حدثت مواجهات خفيفة ضد الإنجليز في أعوام (١٩٢١، ١٩٢٢، ١٩٢٤، ١٩٢٩، ١٩٣١م) وكلها في الشارع العام . وفي عام ١٩٣٦م اندلعت في كل فلسطين ثورة عارمة ضد المحتل، وكان لدير أيوب نصيب في ذلك، وفي دورة الأحداث قتلت القوات الانجليزية أحد عشر عربياً وصفوا بأنهم قناصون للأعداء حسب الرواية الانجليزية.

أما الرواية الشفوية فتقول : في مساء ١٩٣٦/٧/٢٥م وصلت قافلة سيارات يحرسها الجيش الانجليزي إلى منطقة رأس الحية، من ضمن أراضي القرية من الجهة الشرقية، وعلى الخط العام، احتدمت معركة كبيرة تطاير الرصاص فيها من كل جانب وقتل عشرات الركاب في القافلة، وفي الصباح قدمت طائرة استكشاف للموقع وطلبت النجدة، وكانت المعركة مستمرة فقدمت الطائرات وضربت الثوار في الحرش الموجود في نقطة (رأس الحية و الخبطة) وسقط من الثوار ستة عشر شهيداً وفي يوم ١٩٣٦/٧/٣٠م انتقم الثوار للشهداء في معركة استمرت من الفجر حتى المساء رغم وصول نجدات للعدو وفي نفس المنطقة، وخسر العدو أكثر من (٨٠) قتيلاً، وسقط من الثوار خمسة شهداء، وفر الباقون من الموقع .

وفي عام ١٩٣٨م اشتد عنفوان الثورة وامتدت سيطرة الثوار إلى معظم القرى، وكان من أهداف الثورة ضرب المرافق البريطانية الحيوية، وقام أهالي القرية وعلى طول خمسة كيلو مترات بتكسير أعمدة الهاتف واتلاف الخطوط السلكية، مما أغضب الإنجليز وأشعل حقدهم على أهل القرية، فقرروا تدمير القرية بمرمتها وفعلاً بدأوا بتدميرها، فهاجم الثوار المتواجدون في قرية بيت محسبر على قافلة للإنجليز مما خفف الوطء عن القرية، حيث غادر الإنجليز القرية لانقاذ القافلة بعد أن دمر نصفها .

وبقيت المواجهات مستمرة بشكل خفيف حتى عامي (١٩٤٧، ١٩٤٨م) . وهنا لا أستطيع أن أفي معارك باب الواد حقها في هذه العجالة ولكن سأكتب ما قاله بعض القادة والمؤرخين في معارك باب الواد (المشهورة في تاريخ فلسطين) .

قال ديفيد بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل في بيان ألقاه في الكنيست في يوم ١١ حزيران ١٩٤٩م : " إن اليهود خسروا في معارك باب الواد ضعفي العدد الذي خسروه في معارك فلسطين كلها " .

وقال الرئيس الركن محمود الروسان محدثاً أهل القرية قبيل الهجرة : " لو كان قائد الجيش العربي عربياً، لاستسلم اليهود في القدس بعد معارك باب الواد، لأننا خضنا غمار ست عشرة معركة وكنا المنتصرين فيها دون أن نتقدم إلى الأمام " .

وقال المؤرخ عارف العارف : " لو صدق القادة العرب لتغير الوضع الحربي في القطاعات ولغير التاريخ مجراه في فلسطين " .

توقف القتال في تمام الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الثامن عشر من شهر تموز ١٩٤٨م، وحاول اليهود في اليوم الثاني (١٩/٧/١٩٤٨م) احتلال اللطرون بكل جهدهم تمهيداً لاحتلال دير أيوب، والشارع العام، لكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً وقتل الكثير من اليهود وأظهر الجيش العربي أيضاً قوته، وكانت هذه المعركة الأخيرة في باب الواد عام ١٩٤٨م .

رجع أهل القرية إلى زراعة أرضهم بعدما حرّموا منها بسبب المعارك، وأصبح الشارع العام هو الحد الفاصل بين العرب واليهود، خسر أهل القرية حوالي خمس مساحتها وهي مناطق : (باب الواد، والخبطة، وحرابة، وشعب اللوز، وصبيحة، وراح أبو سمرة، وصفحة واد علي، وبيوت دار قطينة، والقلعة، والكازية) .

وفي صباح يوم الإثنين (٤/٤/١٩٤٩م) علم أنه تم التوقيع في اليوم السابق (٣/٤/١٩٤٨م) على اتفاقية نهائية للهدنة في رودوس وأصبح أهل القرية مهددين بالخروج منها، فقامت قوات الهدنة وضباط الجيش الأردني واليهودي بترسيم الحدود، وقالت الرواية الشفوية : " في يوم واحد وضعت ٣ خطوط للهدنة وكان المشرف انجليزي الجنسية، ويقال إن أخاه قتل في معارك باب الواد وكان من القياديين في الجيش الإسرائيلي " .

وقال القائد الأردني (عبد الله التل) : إن اليهود كانوا إذا لم تعجبهم خريطة يأتون بأخرى، ويقولون هذا ما اتفق عليه في رودوس وهي من ضمن الملاحق ؟..

ويقول التل : إن هذه الخرائط لا يعرف من رسمها ومن وقع عليها، وأخيراً وافق قائد اللواء الثالث في الجيش العربي (اوشتن) على إرضاء اليهود الذين كانوا يريدون إخراج سكان القرية وتهجيرهم، إلا أن الضباط العرب رفضوا ذلك بالإجماع وتساءلوا : أن القرية خارج خط الهدنة نخرج أهلها ؟... وقال آخر " يكفي أنكم أعطيتكم كل السهل من أراضي القرية لهم...؟

وفي اجتماع طويل عقد جنوبي القرية بين قيادة الجيش العربي ومندوبي الهدنة وقيادة الجيش الإسرائيلي تقرر : أن المنطقة الجنوبية من القرية تبقى كما هي لليهود ومساحتها حوالي ٢٠٪ من أراضي القرية، وتعتبر ٦٠٪ من أراضي المنطقة حراماً لا يدخلها أحد وشملت هذه المنطقة معظم بيوت القرية وفوراً أصدر (اوشتن) أوامره العسكرية بإخراج أهل القرية واعتبار المنطقة الحلال في القرية وهي ٢٠٪ من مساحتها خطوطاً أمامية ولكنها تزرع وتحصد ويحق لأصحاب الأراضي المكوث فيها طوال النهار لفلاحتها .

وبدأت علامات الغضب ظاهرة على وجوه الضباط العرب أمثال : حابس المجالي، ورفيفان خالد، وعكاش الزين، ومحمد كساب، ومحمود الروسان وقالوا إن أهل هذه القرية " دير أيوب " ظلموا ظلماً شديداً، اعذرونا هذا ما يريد القائد الانجليزي ... إنها الأوامر ... إنها الأوامر !.

وخرج أهل القرية وهم في حالة رهبة تخيم عليهم سحائب الفقر والبؤس والشقاء وعلامات الحزن مرتسمة على وجوه الكبار والصغار، وذلك من الظلم الذي وقع عليهم، لاجئين مشنتين وجوههم حزينة والحيرة لا تفارقهم كأنهم سكارى وما هم بسكارى .

وسمح لأهل القرية بدخول المنطقة الحلال لزرعها وحصدها، أما المنطقة الواقعة خلف مواقع الجيش الأردني فيحق لسكانها أن يفعلوا فيها ما يشاؤون، إقامة وبناء وزراعة، وقد كان أهالي القرية القاطنون في قريتي يالو، عمواس يخرجون في الصباح الباكر إلى القرية لزراعة المنطقة الحلال وفلاحتها وحرثها وتقليم أشجارها وجمع حطبها وفي يوم (٢/١١/١٩٥٠م) الساعة العاشرة صباحاً ذهب أطفال القرية إلى أراضيهم في المنطقة الحلال وبينما هم سائرون هجم عليهم بعض الجنود الإسرائيليين وقتلوا طفلين بالرصاص بعد أخذهما أسيرين وهما

أحمد العلمي

أستاذ مساعد - جامعة القدس

انتخب سليمان القانوني " الضاحكة " وهذا هو معنى اسمها من بين شابات الحرم، وكانت قد أتت من الشمال حيث ابتيعت من نخاس تتري . كانت نحيفة ذات شعر أشقر وأطلق عليها خازن الكسوة اسم الضاحكة (" خرم " اذ كان لها أسلوب مرح في الغناء فقد كانت تلتقط القيثارة وتضرب عليها وتغني وتدق على البساط بكعبيها) .

وكانت خرم تطرز بسرعة وتصنع أشكالاً عجيبة من القلاع والتيجان، أخذها خازن الكسوة وراح يدفع لها مصروفها الشخصي . كانت الفتاة الروسية تقوم بأجراء حركات بأيديها مقابل مصباح مضيء، فتجعل الظل يتراقص على شاشة بأشكال الأشباح والجان، كما كانت تلعب الكرة وتقذفها برجليها . وكانت تربط شعرها بخيط من الحرير إذ لم تكن تمتلك خيطاً من اللآلئ ، وكانت طاقيتها زرقاء وغير مذهبة . وعندما خاطت أضرار ستره السلطانة الوالدة ضحكت عندما علمت أنها من الماس وقالت : إن هذه الحجارة الكريمة تكون أضراراً رديئة . وكثيراً ما كان سيؤدي ضحكها إلى معاقبتها بالضرب، ولكنها لم تكن تبكي إلا أنها لم تغفر مطلقاً لأولئك الذين عاقبوها .

وأبلغ خازن الكسوة الملكة الوالدة أن الفتاة ماهرة وسريعة . فقد كانت أسيرة ثم أصبحت جارية وبعد ذلك خادمة .

وسمعتها سليمان تغني وكان يعرف بعض لهجات الشمال فسأل عن اسمها وكان يقف أحياناً معها ليتكلم بلغة أجنبية . وكانت تضحك بمرح عندما يغلط في بعض الكلمات، ولكنه لم يظهر أي غضب لضحكها، وبعد ذلك لم يكن أحد يتجاسر على معاقبتها .

الطفل علي محمد طينة (١٢) سنة والطفلة فخرية محمد علي (١٠) سنوات، كما جرحوا ابنة عمها التي استشهد والدها في معارك باب الواد وهي خديجة عبد الفتاح علي طينة، وكان عمرها ثماني سنوات، ورغم هذه المجزرة واصل أهالي القرية فلاحه أرضهم وسكن أحد أبناء القرية وهو عبد السميع سالم طينة وعائلته منطقة خلة حديد .

وكانت دائرة الأوقاف في رام الله والبيرة منذ عام ١٩٥٠م وحتى عام ١٩٦٧م تؤجر أراضي الوقف إلى أبناء القرية ومنهم الحاج عبد الرحمن سليمان طينة والحاج فارس ذيب طينة، وكان الكثير من أبناء القرية القاطنين في يالو ورام الله وعمواس يقومون بفلاحة أرض قريتهم .

ومن المعروف أن قرية دير أيوب كانت تابعة للقدس تاريخياً وإدارياً حتى عام (١٩٤٠م) ثم أصبحت تابعة إدارياً لمدينة الرملة، وبعد عام ١٩٤٩م أصبحت تابعة لقضاء رام الله حتى عام النكبة ١٩٦٧م، وكانت قرية دير أيوب قبل عام ١٩٦٧م وجهة المتنزهين من القرى المجاورة نظراً لكثرة الورود والأزهار وأشجار التين والرمان واللوز والخوخ والعنب والصبر والنباتات البرية مثل المرامية والزعر والجددة والنباتات البرية منتشرة في جبالها وتشاهد الغزلان والطيور خاصة طيور الشنار .

وبقيت هذه الحال حتى عام ١٩٦٧م، فهجرت من سكن في القرية بعد أن تم طردهم مع أهالي عمواس، يالو، بيت نوبا، ثم دمرت القرية نهائياً مع القرى الثلاثة بعد انتهاء الحرب مباشرة مع قرية اللطرون وموقع القرية اليوم هو الجزء الجنوبي الشرقي لمتنزه (كندا بارك) الذي تم افتتاحه عام ١٩٧٩م والمقام على أنقاض القرى العربية عمواس، يالو، دير أيوب .

ولا يفوتنا أن نشير، وقد بدأ الحديث عن عودة أهالي عمواس ويالو وبيت نوبا إلى قراهم، أن نضيف إلى هذه القرى قرية دير أيوب التي تجاوزتها ذاكرة الذاكرين فنسيها الجميع ولكن أبناءها لن ينسوها .

فما زالت في الأفق آمال وفي النفوس أشواق ولهفات وهم ينتظرون العودة بمشيئة الله إلى قريتهم الحبيبة دير أيوب .

حسب قانون الخدم كانت تخصص غرفة نوم منفردة لكل فتاة تستهوي قلب السلطان، وتخصص لها ملابس خاصة وخدم خاصون بها، وتوضع تحت تصرفها اللآلئ والحلي الذهبية ولها الحق في استدعاء مدلكات الحمام والحلاقات . وبهذا أصبح لـ " خرم " مكانة في القصر، فأخذت بمشاكسة خازن الكسوة وتحديه، ولم يكن باستطاعته معاقبتها وقد استدعتها حفصة السلطانة الوالدة وتكلمت معها بشدة .

ولم يكن السلطان ينظر إلى أي فتاة عدا زوجته كل بهار . إلا أن خرم كانت تسليه بالأعييبها وكلامها الغريب . وذات مساء وضع منديله على كتفها وتركه هناك . وابتسمت خرم عندما لاحظت أن المنديل كان واحداً من تطريزها، وكان المعنى أن السلطان يرغب في مضاجعتها وبحسب قانون الحريم كان على كل بهار أن تهئ الفتاة السلافية ليلتها الأولى مع سيدها . مع أن كل بهار لم تكن تحبها . فذهبت خرم إلى الحمامات ووضعت العطور واستدعت الجواري للتدليك وصقل الأظافر ودهنها، وهمست النسوة أن الروسية لا تملك نعومة بشرة كل بهار أو شعرها الأشقر .

وقامت عجوز مغربية بتدريب خرم على التقرب من سيدها وعلمتها كيف تجتاز الحرس، ثم تتحني أمام الفراش وتذهب إلى جهة القدمين وتلمس الغطاء بجبهتها ثم تخلع حليها وملابسها، وتدخل من جهة الأقدام تحت الغطاء وتسحب جسمها إلى الأعلى نحو سيدها وقبل الفجر تأتي امرأة لتطلب من الفتاة العودة إلى غرفتها .

وقد تكررت دعوات سليمان لخرم ويبدو أنه أعجب بأساليبها المضحكة وكان يدعوها للطعام ويتكلم معها عن الشمال وبلاد ما وراء الدانوب . وهكذا كانت بعدها رفيقة لا مجرد امرأة يستمتع بها .

واعترف بالسلافية كقرينة للسلطان وخصصت لها نفقات كثيرة وكانت تشتري كميات كبيرة من الأساور والخيول لتهبها للآخرين بسرعة . وكان السلطان يعجب بالموسيقى الغريبة التي كانت تعزفها خرم على القيثارة .

وأصبح لها سلطة وازداد نفوذها عندما أخبرت الملكة الوالدة أنها حامل .

وبذلك أصبحت القرينة الثانية وكان السلطان يتكلم أكثر فأكثر عن هذه السلافية .

وأطلق الدبلوماسيون الأجانب عندما وصلتهم أخبار القصر على هذه الروسية لقب روسيلاني وروكسلانه ووضعت روكسلانه ولداً في القصر أسماه سليمان باسم والده سليم . وكان لسليمان ولد أكبر هو مصطفى من كل بهار، كان هناك احتمال موت مصطفى فتصبح روكسلانه بذلك السلطانة الوالدة بعد موت حفصة .

وكان السلطان يبحث مع روكسلانه موضوعات مهمة كما لو كانت رجلاً . وحسب القانون القاسي الذي وضعه محمد الفاتح فعند وفاة السلطان لن يترك سلالة بعده إلا في شخص ولد واحد حي . أما الآخرون فيعدمون .

ومع مرور الأيام كانت روكسلانه تزداد خطوة لدى السلطان وتكسب المزيد من عواطفه . وقد ولدت له ابناً آخر اسماه بايزيد . وكانت روكسلانه تبدو في كل مرة يراها السلطان بشكل مختلف . فقد تلبس قبعة صغيرة من القماش أو الذهب وقد تربط شعرها بخيوط من اللآلئ وقد تظهر كغلام ببزة عسكرية أو راقصة تكشف فخذيها ونهديها، بينما كانت كل بهار تبدو دائماً بنفس الشكل . وكانت السلطانة الوالدة تتحملها مع أن السلافية كانت مرحلة دوماً .

وكان سليمان يحترم أمه كثيراً ولم تحاول روكسلانه الإخلال بهذا التوازن الدقيق . وكانت تلجأ إلى سليمان للحصول على دراهم لمصروفها . وبموجب الدرجات المشددة في الحريم التركي كانت الأم الوالدة هي الرئيسة، وكل بهار هي الثانية لأنها أم مصطفى أول أولاد السلطان، وروكسلانه الثالثة بما أنها القرينة الثانية .

وكانت هناك معارك صامتة بين الفتاة الشركسية والفتاة الروسية والتحمنا مرة واحدة على الأقل بالأيدي والأسنان . وتحملت روكسلانه الضرر الأكبر إلا أنها كانت تكسب عطف السلطان .

واعترفت روكسلانه بخوفها على ولديها اللذين كانا طفلين يلعبان بفناء السلطانة الوالدة . أما ابن كل بهار فقد جاوز سن الرشد فأرسله سليمان إلى أحد الأقاليم ليتدرب باشراف معلمين في الجيش، وارتضت كل بهار مغادرة القصر لمرافقته فقد شعرت بان سليمان قد فصل نفسه عنها .

وأقام سليمان حفلاً لختان ولدي روكسلانه اللذين اجتازا سن الطفولة إلى الصبا وانضم الوالدان إلى والدهما وأصبحا محط أفراح الناس .
وأقام الولدان مع المعلمين المخصصين لتدريبهما في حرم القصر القديم حيث كانا يلعبان قرب النافورة في فناء السلطنة الوالدة . وكانت أم سليمان في مرض الموت إلا أنها كانت تهيمن على عالمها النسائي . وكانت تعطي أوامرها إلى رئيس الفتيان ومديرة الغرف ورئيسة المربيات ولم تكن ترى روكسلانه تقريبا . وعندما شعرت بقرب الموت قالت حفصة لسليمان اعتمد على بايزيد وكن رؤوفا بسليم ولا تثق به مطلقاً .

إلا أن مصطفى كان المفضل لدى حفصة الذي بدأ يحظى باحترام الناس وحبهم . وكان مصطفى يفضل مكالمته من هم أكبر سنا ويكسب صداقة الناس بسرعة، وكان يملك مهارة والده في الفروسية والسيوف . وأعطى مصطفى ولاية مغنيسيا التي كانت لسليمان قبل اعتلائه العرش .

وكان أصغر أولاد روكسلانه جهان كير يتنقل كالظل بين بلاط مصطفى في مغنيسيا واستنبول، وكان هذا بالرغم من مرضه وظهره الأحدب مولعاً بمصطفى، وكان المفضل عند سليمان بين أولاده جميعاً .

وماتت السلطنة الوالدة وأعلن سليمان الحداد مدة ٣ أيام، وكان سليمان قد وصل التاسعة والثلاثين . وكان من الواجب أن تشغل كل بهار مكان السلطنة الوالدة إلا أنها اختارت البقاء مع مصطفى في مغنيسيا .

وبالتدريج تمكنت روكسلانه من مرافقة زوجها خارج محبس الحرم فأحياناً تعقب جواده إلى الاستعراضات وصلاة الجمعة بعجلتها المغلقة، وأحياناً ترافقه متكررة عندما يذهب إلى نزهاته المائية .

وكانت لخاصكي سلطان طرقها الخاصة في التخلص من النساء اللواتي يجذب نظر السلطان . فقد كانت تأخذهن إلى خدمتها وهكذا لا يجتمع سليمان مع امرأة أخرى إلا بحضورها . وبالتدريج أصبح مؤكداً لدى الخصيان أن سيدهم لا تلذ له امرأة سوى خاصكي سلطان .

وبدأ البنادفه يطلقون الإشاعات حول روكسلانه فيقولون : إن سليمان يحبها حبا جما، ويؤمن بها إلى حد كبير، وأنها أصبحت ساحرة تستعمل قوتها للتأثير عليه . وقد كرهها الجيش والبلاط كما كانا يكرهان أولادها . لكن لا أحد يجسر على الاعتراض لأن سليمان يحبها .
وبحسب التقاليد منذ ستة أجيال لم تكن لأي سلطان عثماني زوج معترف بها . ولكن روكسلانه كانت تعرف أن سليمان لن يتردد في الخروج على التقاليد وقد قام بذلك .

فقد تم ذلك بهدوء في القصر . فأمام قاض شرعي لمس سليمان يد روكسلانه المحببة وأعلن " أن هذه المرأة خرم أنني أعتقتها من الرق وقبلتها زوجاً وأن كل ما يعود لها يكون ملكها " .

وأقام سليمان حفلاً بعد ذلك ففي الليل كانت الشوارع مضاءة والموسيقى تصدح والأكاليل تتدلى من الشرفات وفي الميدان رأت خاصكي سلطان ورفيقاتها من وراء حجاب عرضاً للفروسية وسباقات الفرسان المسلمين والمسيحيين والحواة والحيوانات المدربة من بينها زرافات تمد أعناقها إلى الأعلى نحو السماء . وقد جرى ذلك في غياب كل بهار وجعلت روكسلانه نفسها زوج سليمان المعترف بها .
وفي صيف عام ١٥٥٣م، كان سليمان يشرف على ميلاده الستين، تقدم الإيرانيون خلال الجبال للاستيلاء على أرضروم المعقل الذي كان يحمي الممر الرئيسي من الشرق إلى الغرب، فأرسل سليمان رستم لحل المشكلة إلا أنه وصلت أنباء إلى سليمان بأن مصطفى قد أنصت برغبة إلى الثوار الذين ثاروا ضد مجيء رستم وطالبوا بمجيء السلطان نفسه .

ومن المحتمل أن سليمان لم يخش اندلاع الثورة وكان عليه أن يقرر موضوع الخطأ الذي ارتكبه ابنه فما الحق الذي يحاكم مصطفى بموجبه ؟ فوجه السؤال إلى أعلى قاض في الإسلام دون إعطاء الأسماء (تاجر معروف في هذه المدينة غادر بيته ووضع كل ما يملك فيه بعهدة العبد الذي كان الأكثر حظوة لديه، وشرع هذا العبد في غياب سيده بسرقة أمواله وتدبير انتزاع حياته ففي هذه الحالة ما الحكم الذي يفرضه الشرع على العبد ؟) .

وأرسل السؤال إلى المفتي " أبي السعود " وكان الساعي قد أفهم المفتي أن الموضوع يتعلق بالسلطان شخصياً وهذا التنبيه السري لا بد أن مبعثه جماعة روكلانته .

وأجاب المفتي بصراحة " ان عقوبة العبد بحسب تقديرى يجب أن تكون الموت بالتعذيب " وكانت نصيحة " أبي السعود " وانداز رستم والإشاعات التي تنذر بالسوء كانت كلها وليدة مكر روكلانته ..

واستدعى سليمان رستم وسلم حكم المدينة إلى ولده بايزيد وتحرك إلى الجبال الشرقية وكتب إلى مصطفى ليحضر بنفسه للإجابة عن التهم الموجهة إليه . ولم تتوقع روكلانته أن يذهب مصطفى بنفسه للقاء والده إلا أنه قيل عنه أنه قال " اذا كان قد كتب علي أن أموت فلن تكون هناك ميتة خير من الموت بيد والدي " .

وجاء مصطفى الى معسكر سليمان ونصب خيمته قرب خيمة السلطان وراح يرد على تحية الإنكشارية ثم دخل وحده لمقابلة والده . وكان ثلاثة صم بكم ينتظرونه بوتر قوس . وراقب سليمان موت مصطفى من وراء ستارة شفافة ووضع جسده على بساط ليراه رجال الجيش عند مرور صفوفهم به . وحزن الإنكشارية ورفضوا تناول الطعام وطالبوا بحياة رستم . وخشيت أرملة مصطفى على ولده البالغ من العمر أربع سنوات، فظهر خصي موفد من البلاط ليدعوها إلى السراي واحتال لابعاد الغلام وقتله . وسخطت المدينة على المتآمرين رستم وروكلانته ولأن المرأة لا يمكن ذكرها توجه الغضب نحو الوزير، فأعفى سليمان رستم من منصبه .

ثم مات جهان كير المقعد رفيق سليمان بدافع حزنه على فقدان مصطفى ولم يتمكن أطباء البلاط من إنقاذه . ولم تستطع روكلانته منع النزاع بين ولديها الباقيين . وحاولت إقناع سليمان بتعيين سليم خلفاً له إلا أن سليمان كان راغباً ببايزيد .

وبدأ النقرس ينخر في جسد سليمان . وقامت ابنته وبحث من روكلانته على إعادة رستم إلى الوزارة، فتم ذلك بعد سنة . وهكذا تمكنت النساء من التأثير في الديوان .

ومرضت روكلانته وكان ولدا سليمان على وشك خوض معركة مكشوفة بينهما . ثم ماتت روكلانته في حجرتها الملاصقة لقاعة العرش دون أن يشعر أحد خارج السرايا بذلك . ودفنت في قبر قريب وراء الجامع، وأمر السلطان ببناء مسجد صغير باسم خاصكي خرم قرب سوق النساء . وأوقف للمسجد مستشفى للمجانين ومدرسة .

نحن والقدس ... والآخرون

لطف زغلول

شاعر - نابلس

« إذا كان منطق الأصالة والانتماء يقتضي منا استنكار أحداث التاريخ واستقراءها فالأجدد بنا استقراء راهن ورثة هذا التاريخ » .

* القدس بالنسبة لنا الزمان بأبعاده الثلاثة الماضي الحاضر والمستقبل . إنها تاريخ، تراث، وجذور ورثناها عن آبائنا وأجدادنا، شكلت بمجموعها لحمه شبكة ذاكرتنا الثقافية والإيمانية والإنسانية وسداها، كبرت معنا وأصبحنا جزءاً منها وأصبحت جزءاً منا، وإذا كنا نحن الفلسطينيين، وهذا شرف لنا، أكثر حساسية من غيرنا تجاه القدس، وكل ما يخص القدس، فلأننا الأقرب إليها، جسداً وروحاً، والأوثق التصاقاً، والأرحب معاشة .

* إن خمسة عشر قرناً من التاريخ العربي الإسلامي المتواصل، وقبله مساحات لا تحد من التواجد العربي المكاني والزمني على أرضها، والتفاعل مع كل ذرة من تراثها، والتوحد مع كل نفحة إيمان تتساب من مآذنها ومساجدها وكنائسها. إن هذا الشريط اللانهائي من ذكرياتها الإيمانية والتاريخية والثقافية، وغيرها الكثير، لا يمكن حتى لمكتبة بكل مصنفاتها من مخطوطات ومجلدات وكتب ومراجع ووثائق أن تقيس مدى مساحة الارتباط والتعلق والاندماج بها، أو أن تشبعه تعليلاً وتفسيراً وبحثاً ودراسة .

* لكن القضية الفلسطينية لم تتل بكل أبعادها ما تستحقه من رعاية وعناية واهتمام على أيدي ورثة هذا التاريخ المجيد، ونعني بهم الأنظمة العربية، وظلت مع الأيام تتراجع إلى أن وصلت في كثير من المرات إلى ما دون الصفر، وعبر تاريخ القضية الطويل تم تقزيم كثير من إنجازات نضالاتها، أو تهमيشها، أو التعتيم عليها، أو حتى تغيير أهدافها الحقيقية وتشويهها .

ويكفي هنا أن نشير الى قضية القدس التي تشكل " كارثة إعلامية عربية " نجمت جراء اغتيال القضية، ومحاولة التخلص منها، وطمس معالمها في غياهب الذاكرة العربية . فالقضية الفلسطينية، وبخاصة قضية القدس، كانت ولا تزال نقطة ضعف هذه الأنظمة، والمرآة التي تعكس عجزها وتخاذلها . ناهيك عن أحداث الانتفاضة الفلسطينية التي عرّت هذه الأنظمة وكشفت عوراتها أمام جماهيرها .

* وإذا كانت الأنظمة العربية الرسمية، والأقطار الإسلامية في غفلة أو تغافل عما يدور في القدس أو ما يتهدها من افتراس تراثي وافتراش استيطاني، وإذا كانت ما زالت تجتر مشكلاتها الداخلية الخاصة بكل منها، فتفوقعت على نفسها، وقبعت في زوايا تفوح منها رائحة الإقليمية والانعزالية، وإذا كانت نسبة مشاركتها الحالية فيما يخص القضية الفلسطينية، والقدس بالذات، لا ترقى إلى مستوى الأحداث، ولا إلى ما تقتضيه أواصر الأخوة العربية والإسلامية، فلأنها مقيدة بقيود النظام العالمي الجديد، الذي سلبها حرية صنع قرارها، وجعلها تدور في فلك راعية هذا النظام وارثة الاستعمار قديمه وحديثه .

* إن القضية الفلسطينية بكل أبعادها تتعرض مرة أخرى إلى " وعد بلفور " جديد صادر عن الكونغرس الأمريكي الذي أقر بأن القدس عاصمة اليهود، وطالب الحكومة الأميركية بنقل سفارتها من تل أبيب إليها .

* وهنا نود أن ننوه إلى العلاقة الوثيقة بين المستوطنين اليهود الذين يصادرون الأراضي الفلسطينية ويفترسونها ويفترشونها، وبين الأميركيين، ومنتساعل : ليس هؤلاء الأميركيين هم أحفاد أولئك المستوطنين البيض الأوروبيين الذين أبادوا قبائل الهنود الحمر، واستولوا على أراضيهم، وأسسوا فيها نظاماً استيطانياً ؟ أوليس المستوطنون اليهود الذين جاءوا من أميركا بالذات يحملون ثقافة رعاة الأبقار (COW BOYS) في مطاردة الهنود الحمر، وكل أساليب الاستيطان الأميركية ونخص بالذكر " مجلس المستوطنات واتحاد المستوطنات " وكل التنظيمات الاستيطانية على النمط الأمريكي . وما هم المستوطنون اليهود يطاردون الفلسطينيين ويقتلونهم ويصادرون أراضيهم بدعم من أحفاد

قتلة الهنود الحمر الأصليين، وكأننا في نظرهم نحن الهنود الحمر الجدد في هذا القرن .

* ان الأخطار التي تتعرض لها القدس كثيرة وهي على سبيل المثال لا الحصر : أولاً : استمرار الاحتلال الإسرائيلي لها والذي يستمد قوته ووجوده من عنصرين :

١ . التخاذل العربي والإسلامي، والانجرار وراء عمليات التطبيع مع الكيان الصهيوني بوتيرة متسارعة، وإهمال موضوع القدس، وعدم طرحه على مائدة المفاوضات الطبيعية، والهرولة لجني ثمار سلام ترسم خارطته الجرافات الإسرائيلية التي تصول وتجول على مسمع ومرأى من العرب والمسلمين .

٢ . التأييد الأميركي المتواصل والذي لا يقف عند حدود للكيان الصهيوني، الذي تتحكم به أصلاً غرائز الاستيطان، والمتمثل بالدعم العسكري والسياسي والأمني والاقتصادي، في ظل التخاذل العربي، والتبعية المطلقة لأمريكا، راعية النظام العالمي الجديد .

ثانياً : عمليات الاستيطان اليهودية التي تسير في مسارين :

١ . اغتيال الوجود الفلسطيني العربي الإسلامي، وإزالة آثاره ومعالمه، وقد لجأ المستوطنون وبدعم من حكومتهم إلى كل الأساليب " المصادرة العلنية - الشراء بواسطة السماسرة - وهذه قضية بدأت تتكشف أبعادها واتجاهاتها المتمثلة في تفريغ المدينة من أهلها الشرعيين، علاوة على قضية مصادرة هوياتهم الشخصية، وإحلال المستوطنين القادمين من أميركا بدلاً منهم، ولعل أغرب ما في الأمر أن حكومة الولايات المتحدة الأميركية، وجمعيات حقوق الإنسان فيها، تدافع عن السماسرة الذين يرتكبون جريمة خيانة وطنهم وشعبهم وتطالب بعدم إيقاع الأذى بهم، وتكمل إسرائيل المسرحية فنتهم الفلسطينيين باللامسامية واللاأخلاقية على خلفية مطاردة هؤلاء السماسرة وتخوينهم .

٢. فرض أمر واقع جديد على الأرض يتمثل بحزام استيطاني أخذ يشكل خارطة إستعمارية رهيبة تستهدف محاصرة ما تبقى من الوجود الفلسطيني، وإضعافه واقتلاع جذوره من أعماق تراب وطنه التاريخي، والأكثر التصاقاً بعقيدته .

* ازاء كل هذا نتساءل والحسرة تملأ النفوس : ماذا فعل العرب والمسلمون ومسلسل الخزي والعار ما زال يلاحقهم بدءاً بحرق الأقصى، فمذابح الأقصى، فالنفق تحت الأقصى، فالحفريات التاريخية تحت الأقصى، بهدف تشويه هوية انتمائه، فالمحاولات المتكررة لأمعاء الهيكل المزعوم لاقتحام الأقصى والصلاة في رحابه، ومصادرة البيوت داخل القدس وتهويدها وإزالة الطابع الفريد الذي تتمتع به القدس وأخيراً وليس آخراً قضية أبو غنيم .

الجواب عن ذلك كله : بضعة شعارات للاستهلاك ومهرجان هنا وآخر هناك، ولجنة مشلولة القرارات، ورحم الله القائل " إذا أردت أن تقتل قضية فشكل لها لجنة " . وفي تاريخنا الفلسطيني مئات اللجان .

* إن القدس لم تعد تحتل المكانة التي تستحقها في تفكير الأنظمة العربية أو سياساتها، بل وتتحاشى هذه السياسات المبرمجة في الخارج أن تتطرق من قريب أو بعيد إلى قضية القدس، ومنذ زمن ليس بغير بعيد أصيبت وسائلها الإعلامية بالسكتة الكلامية .

إن الأنظمة العربية متهمة بأنها :

- تغفل موضوع القدس في دبلوماسياتها، وعلاقاتها الخارجية مع الدول الأجنبية .
- تعتم على قضية القدس في كل وسائل إعلامها، إلا ما ندر، ولغاية في نفس يعقوب .

- تتجاهل مناهجها التعليمية قضية القدس، فمن بين ثلاثة آلاف صفحة من مادة التاريخ يدرسها الطالب العربي في ثلاث عشرة دولة عربية، هناك ست صفحات ونصف فقط عن فلسطين والقضية الفلسطينية قبل عام ١٩٤٨، موزعة

على اثنتي عشرة سنة دراسية، وهي بطبيعة الحال لا تتطرق إلى قضية القدس لا من قريب ولا من بعيد، وكأنها ليست جزءاً من التاريخ العربي الإسلامي .
- إن الفن العربي الحديث في ظل هذه الأنظمة سواء كان الرسم، التصوير، النحت، الغناء، والتمثيل هو الآخر يتجاهل قضية القدس، وهنا نخص بالذكر فن الغناء .

* انه لشرف كبير لنا نحن الفلسطينيين أن تكون القدس شغلنا الشاغل، وأولى أوليات اهتمامنا، وأن تحتل كل مساحات تفكيرنا وأن نضحى لها كما ضحينا وما زلنا . إلا أن منطق الأحداث الواقعية يؤكد أن الشعب الفلسطيني منهك القوى، يعاني أصلاً من آثار الشتات والتشتيت، ومن نصف قرن متقل بالأحزان والآلام . وهل من شعب خبر الحصار والاطواق والإغلاقات والعقوبات الجماعية والمصادرات والتدمير والعنف والإرهاب إلى آخر ما في قاموس القمع الإسرائيلي من مصطلحات ومفاهيم تطبيقية، كما خبرناها نحن الفلسطينيون .

* إن التهاون في قضية القدس من قبل الأنظمة العربية ورموزها، كفيل بتلطix التاريخ العربي والإسلامي، وتجريده من مضامينه القيمية والإنتمائية وسوف يصيب شعوبه بالإحباط والعجز، فالقدس هي الجذور، وأي خلل يعتري هذه الجذور سيؤول بها إلى تقزيم هذا التاريخ وتهميش شعوبه .
إن القدس قضية عقيدة وتاريخ ووجود وانتماء وشرف .

إن القدس هي السلام وعاصمة السلام، وإن التفكير من قبل أي طرف بأن سلاماً يمكن أن يفرض خارج نطاق القدس، هو وهم كبير وقاتل، وأن المطالبة بنشر ثقافة السلام بين شعوب المنطقة والتحدث بلغة السلام مستحيلة، وتفوح من ثناياها رائحة الاستهانة والاستخفاف بسلام الشعوب وبخاصة الجماهير العربية .

المشاركون في الندوة

١. د. أحمد العلمي جامعة القدس
٢. د. أمين أبو بكر جامعة القدس المفتوحة
٣. د. جلال قزوح جامعة النجاح الوطنية
٤. د. جهاد عوض جامعة النجاح الوطنية
٥. د. حسين الدراويش جامعة القدس
٦. روبرت شنيك جامعة القدس
٧. د. سعيد البيشاوي كلية العلوم التربوية
٨. أ. عايد صلاح الدين القدس
٩. أ. عباس نمر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
١٠. د. عدنان شقير جامعة بيت لحم
١١. أ. غسان محبيش مركز إحياء التراث

١٢. أ. لطفي زغلول نابلس
١٣. أ. محمد أبو صالح دائرة أوقاف الخليل
١٤. د. محمد حافظ الشريدة جامعة النجاح الوطنية
١٥. د. محمد علي الصليبي جامعة النجاح الوطنية
١٦. أ. محمد غوشه دائرة الآثار الفلسطينية
١٧. د. محمود الشخشير جامعة النجاح الوطنية
١٨. أ. محمود سعيد موسى مركز إحياء التراث
١٩. أ.د. مصطفى محمود عفيفي جامعة طنطا
٢٠. د. نظام عباسي جامعة النجاح الوطنية

.12

.13

.14

.15

.16

.17

.18

.19

.20



مكتبة جامعة النجاح الوطنية



NL237406